د. محمد تقي الدين الهلالي

الحُسام الماحِق

لكل مشرك ومنافق

دار الدعوة للنشر

د. محمد تقي الدين الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

من منطلق قول الرسول صلى الله عليه وسلم
تهادوا تحابوا كان هذا الكتاب على سبيل التذكار
على مدى الأيام من أخ لأخيه في دراسته ودينه
وهذا الكتاب وإن قلت صفحاته يحوي علم عزيز
إلى أخ عزيز فالعيد في الدنيا خيال.
والحب إن ملك النفوس أعزها والعاشقون بربهم
علماء والولاء الحب الذي تخلو له الأشياء.
وفي النهاية أقول "قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا
المودة في القربى" صدق الله العظيم

أخوك
خالد حمدي السيد عبد الباقي
الكرسة مركز طنطا غربية
٣٠ - ١٢ - ١٩٨٧

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ ـــ ١٩٨٥ م

د. محمد تقي الدين الهلالي

الحسام الماحق

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فلا يخفى على الملمين بأحوال الأمم والشعوب وعلى الباحثين عن اتجاهات الأفراد والجماعات أن الزيغ الفكرى والانحراف العقدى والفساد العملى من أصعب أدواء المجتمع البشرى وأصعب أمراضه علاجا، وربما يعرض الأمة للانتقاد والاتهام ويؤدى بها إلى الهلاك والدمار ، والتاريخ يدلنا على أن بعض الأفراد والجماعات من المسلمين — أيضا — قد أصيبوا بهذا الداء ، وضلوا فى مجال العقيدة والعمل ، وتنكبوا عن الصراط السوى ، وتركوا الأسوة الحسنة للنبى — ﷺ — .

ووجد هذا الانحراف تأييدا وتشجيعا من الذين يتسمون باسم العلماء ، ويتاجرون باسم الدين ، ويحرفون كلام الله ، ويشوهون تعاليمه ، ويكدرون منهل السنة الصافى ، ويضلون من يثق بهم فى شئونه الدينية وأعماله التعبدية . وهؤلاء المنحرفون يسعون لنصر باطلهم وتنفث سمومهم على طريقة تبعث على الاستغراب وتدعوا إلى التأسف والتألم . ولكن الله تعالى يوفق عباده الصالحين من العلماء المخلصين ليقفوا فى وجه هؤلاء

المبطلين ، ويردوا عليهم فى غوايتهم ، ويبينوا للناس ما يقومون به من تشويه معالم الدين وتأويل نصوص الكتاب والسنة لتحقيق أغراضهم الخبيثة .

هذا الكتاب الذى تنشره دار الصحوة بالقاهرة جزء مهم من هذه السلسلة الذهبية ومحاولة ناجحة لتبصير الناس بتعاليم الإسلام الصافية وبروح الدين السامية ، ولتطهير المجتمع من أدران الشرك وأوساخ البدع وظلمات الجهل .

ومؤلف الكتاب هو فضيلة الدكتور « محمد تقى الدين الهلالى الحسينى » حفظه الله تعالى ، وهو — حقا — غنى عن التعريف بمؤلفاته القيمة ومقالاته النافعة وجهوده المتواصلة لنشر الدعوة الحقة . وهذه المؤلفات والبحوث تعد بالعشرات ، وكلها تمتاز بأصالة البحث وروعة البيان وجزالة الألفاظ وقوة الاستدلال وبراعة الأسلوب . ونحن نرى لزاما على أصحاب المقدرة والمختصين من أفراد الأمة الإسلامية أن يسعوا إلى نشر هذه الكتب فى العالم حتى يقتنيها العلماء والطلاب كمراجع مهمة أصيلة ، ويجتلى محاسنها الباحثون المحققون ، ويزداد بها التراث الدينى العربى ثروة ووثاقة .

وفى نشر دار الصحوة لهذا الكتاب معنى قد لا يتنبه له الناس بدون التصريح ، فمؤلفه المحترم قد عاش مدة من الزمن فى الهند وخاصة فى مدينة « بنارس » وبين ظهرانى المسئول عن الجامعة السلفية ، فصيته ليس ذائعا بين البلاد العربية فحسب ، بل هو معروف فى الهند أيضا وخاصة فى أوساط السلفيين ، ولذا

و دار الصحوة إذ تقدم هذا الكتاب ترجو أن ينفع الله به الإسلام والمسلمين .

دار الصحوة
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا هو إياه أعبد وإياه استعين ، وصلاته وسلامه على محمد عبده ورسوله النبي الأمين الذى أرسل رحمة للعالمين وأنزل عليه فى الكتاب المبين « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (١) وأمره بجهاد الكفار والمنافقين وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أشداء على الكفار ، رحماء بالمؤمنين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى ربه العلى الكبير « محمد تقى الدين بن عبد القادر الهلالى » : بعث إلى الفقيه السيد محمد ابن إبراهيم إمام أرفود رسالة أرسلت إليه من بعض المهوسين ، الفاتنين المفتونين ، والذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان سوء عملهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون كالذين قال الله فيهم « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقحمون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ،

---

(١) الأنفال : ٦٤

إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمان بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم (١) .

تضمنت تلك الرسالة الكاذبة الخاطئة من الإفك والبهتان والكذب على رسول الله - ﷺ - ما « تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٢) » . وبعث هذا المفتون إلى مسجد أكرمهم الله بإحياء السنة من مرقدها ، وتجرأ هذا المهوس على الله تعالى ، فسمى السنن الصحيحة التى اتفق عليها الشيخان ، وتواتر العمل بها من زمان النبى - ﷺ - إلى يومنا هذا سماها منكرا ، ولا غرابة فى ذلك فقد روى ابن وضاح وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يهرم فيها الكبير ، وينشأ فيها الصغير ، تجرى على الناس ، يحدثونها سنة ، إذا غيرت قيل هذا منكر . انتهى من كتاب الاعتصام للشاطبى (ج ١ ص ٥٤) . وستأتى أحاديث أخرى فى هذا المعنى إن شاء الله عندما يعرض المبتدع لإقرار البدع واستحسانها ، ورأيت أن أقسم هذا الرد إلى فصول :

---

(١) يس : ٨ - ١١ .
(٢) مريم : ٩٠ .

الفصل الأول

(فى بيان إشراك صاحب الرسالة « الإيمانية بعبادة غير الله)

قال الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « إياك نعبد وإياك نستعين (١) » والعبادة فى اللغة من الذلة ، يقال طريق معبد ، وبعير معبد ، أى مذلل . وفى الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو إياك ، وكرر للاهتمام والحصر أى لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة . والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة « إياك نعبد وإياك نستعين » فالأول تبرؤ من الشرك ، والثانى تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله عز وجل ، وهذا المعنى فى غير آية من القرآن كما قال تعالى « فاعبده وتوكل عليه ومـا ربك بغافل عما تعملون (٢) » « هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا (٣) » « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (٤) » وكذلك هذه الآية الكريمة « إياك نعبد وإياك نستعين » .

يقول محمد تقى الدين : بمثل هذا فسر آية « إياك نعبد

---

(١) الفاتحة : ٥ .
(٢) هود : ١٢٣ .
(٣) الملك : ٢٩ .
(٤) المزمل : ٩ .

وإياك نستعين » جمهور المفسرين من الصدر الأول ، فحقيقة العبادة غاية الذل فى غاية الخضوع ، وهى تشمل القربات التى يتقرب بها إلى الله تعالى . ومنها الاستعانة المذكورة هنا ، والمراد بها الاستعانة بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ولا يدخل فى الأسباب كإعطاء الأولاد ، وإنزال المطر ، وشفاء المريض لا بتعاطى العلاج بل بقول « كن فيكون » وإمداد الشخص بهداية القلب وتنويره ، وتفريج الهم والغم عنه ، وهو ما يسمى بالمدد عند المشركين الذين يزعمون أن غير الله قادر على إصلاح قلوبهم وإمدادها بنور الإيمان والفتوح الغيبية ، فهذا النوع من الاستعانة خاص بالله تعالى فمن استعان بغيره فى مثل ذلك فهو كافر مشرك ، صارف حق الله لغير الله ، ونحن نشاهد المشركين عبدة القبور والأضرحة وغيرها من الأمكنة التى يقدسونها ، يطلبون من آلهتهم التى يسمونها أولياء وسادة وصالحين نزول المطر وإعطاء الأولاد وتفريج الكروب وشفاء المريض وكشف الضر والنصر على العدو وقضاء الدين وإطالة عمر الأولاد وجعل المرأة التى تلد الإناث تلد الذكور ويتقربون إلى آلهتهم بأنواع من العبادات : بالدعاء الذى هو مخ العبادة كما ثبت فى الحديث وسيأتى إن شاء الله ، والاستغاثة وقد صرح بجوازها المشرك المفتون ، وبناء القباب على قبورهم ، أو الأمكنة التى جلسوا فيها ، والأمكنة التى يزعم بعض المنتحلين الدجالين أنه رأى فى المنام شخصا مشهورا عندهم بالصلاح يقول له : ابنوا لى قبة فى هذا المقام ويتقربون ويتملقون لها بتقبيل العتبات والتوابيت ، ويمرغون خدودهم على القبور ، ويتمسحون بها ، ويهتفون بالأسماء المنسوبة إليها ، ويقربون لها القرابين ، ويذبحون الذبائح ، ويحجون إليها ويطوفون ، وينذرون

لها النذور ويسمون ذلك بالوعدة ، يزعمون أن الدعاء عندها أفضل منه فى المساجد . فهل هؤلاء يؤمنون بقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » وبقوله تعالى « فاعبده وتوكل عليه » كلا والله هؤلاء ما يعرفون معنى لا إله إلا الله كما قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١) » .

---

(١) يوسف : ١٠٦ .

ذكر بعض انواع العبادة التى يصرفها المشركون لغير الله تعالى

(قلت فى كتابى « المنح السانحة فى تفسير سورة الفاتحة » ما نصه) :

« إياك نعبد وإياك نستعين » إياك ضمير مفعول به مقدم للفعل بعده ، وتقديم المفعول به يفيد الحصر ، اى لا نعبد غيرك ولا نستعين إلا بك . والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من الاعتقاد والأقوال والأفعال ، ويقال : العبادة غاية الذل فى غاية الحب » .

اقول : ارى من الواجب على أن اذكر بعض أنواع العبادة هنا ليستعين بها السائل على تقرير توحيد الله فى نفوس التلامذة وغـــيرهم .

فالأول : الدعاء وهو كما فى الحديث الآتى « مخ العبادة » اى لبابها وخالصها ، فكل من دعوته لجلب خير أو دفع ضر فيما لا مجال للأسباب فيه كإعطاء العقيم الأولاد لا بطريقة العلاج بل بطريقة التصرف فى الكون بالهمة والحال ، وجعل المرأة التى تلد الإناث فقط تتحول إلى ولادة الذكـــور أو بالعكس ، أو كصـــد الأعداء والسباع الضارية بلا قتال ، وشـــفاء المريض كذلك ، وإحياء الميت وإماتة الحى وإنزال المطر وما اشبه ذلك مما لا يقدر

عليه إلا الله الذى يقول للشىء « كن فيكون » وكل من دعوته لشىء من ذلك فقد عبدته .

ومن الأدلة على ذلك فى كتاب الله عز وجل (وهى كثيرة أعد منها ولا أعددها) قوله تعالى فى سورة فاطر بعد ذكر الأفعال المختصة بالله فى الآية إلى قوله تعالى : « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (١) » وقال تعالى فى سورة الأحقاف (٤ — ٦) : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات ، ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٢) » يفهم من آيات فاطر أن الله وحده هو المتصرف فى العالم والمسير له والمدبر له ولا يشاركه فى ذلك أحد ، وهو وحده رب العالمين ، له الملك ، وكل من سواه عبد فقير إليه فى إيجاده وإمداده ، فلا يجوز له أن يدعو بغيره ، لأنهم لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا لا قليلا ولا كثيرا ، ولا يسمعون دعاء من دعاهم ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له ، وأن دعاءه لهم شرك بالله سيكفرون به يوم القيامة ، أى يتبرؤن منه .

وآيات الأحقاف تحتج على المشركين بأن الله هو الذى خلق

---

(١) فاطر : ١٣ .

(٢) الأحقاف : ٤ — ٦ .

السماوات والأرض فلا يدعى غيره ولا حجة لمن دعا غيره بل هو اضل الضالين ، وان من دعاهم لا يستجيبون له ابدا وهم غافلون عن دعائه ، وإن كانوا أبرارا كالأنبياء والصالحين فهم مشغولون فى نعيم ، وإن كانوا ملائكة فى عبادة الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وإن كانوا فجارا فهم فى العذاب المهين .

وإن الأبرار لا يرضون بدعاء من دعاهم لأنه عبادة لغير الله وسيكفرون بهم يوم القيامة حين يحشر الناس ، يزيد ذلك وضوحا ما أخرجه الترمذى عن انس بن مالك قال : قال رسول الله — ﷺ — : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم (١) » .

الثانى : الاستغاثة قال الله تعالى فى سورة الأنفال « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٢) » أخرج احمد ومسلم وابو داود والترمذى من حديث عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر النبى — ﷺ — إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبى — ﷺ — القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : اللهم انجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد فى الأرض أبداً ، قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبى الله ! كفاك مناشدتك

(١) غافر : ٦٠ .
(٢) الأنفال : ٩ .

ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل « إذ تستغيثون ربكم » الآية .

فنحن نرى أن النبى — ﷺ — كان يستغيث ربه ، وأصحابه كانوا يستغيثون ربهم كذلك ولم يستغيثوا بالنبى — ﷺ — لأن الاستغاثة عبادة ، وهى خاصة بالله تعالى . فمن استغاث بغيره فقد أشرك .

وروى الطبرانى بإسناده عن عبادة بن الصامت أنه كان فى زمان النبى — ﷺ — منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم فقوموا بنا نستغيث برسول الله — ﷺ — من هذا المنافق ، فقال النبى — ﷺ — إنه لا يستغاث بى ، وإنما يستغاث بالله .

قال شيخ الإسلام : الاستغاثة هى طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون . قال محمد تقى الدين : هذا كله فى الاستغاثة والاستنصار ، والاستعانة أى طلب الغوث والنصر والعون بطريق لا يقدر عليه إلا الله ، وطلبه خاص به كاستغاثة النبى وأصحابه بالله تعالى فى غزوة بدر واستنصارهم له واستعانتهم به . أما الاستغاثة بالمخلوق فى أمر يقدر عليه كاستغاثة من شبت النار فى بيته برجال الأطفاء أو استغاثة من هجم عليه اللصوص أو السبع بمن ينجده أو استغاثة الإنسان بغيره أن يحمله على دابته أو سيارته أو يحمل متاعه عليها فذلك جائز ، قال تعالى فى سورة القصص : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » وقال النبى ﷺ : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى حديث طويل .

الثالث : الاستعاذة . قال الراغب : العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به ، يقال : عاذ فلان بفلان ومنه قوله تعالى « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (١) » « وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون (٢) » إلى أن قال : « معاذ الله (٣) » أي نلتجيء إليه ونستنصر به حتى لا نفعل ذلك ، فإن ذلك سوء نتحاشى من تعاطيه — انتهى .

قال محمد تقي الدين : وبهذا تعلم أن التعوذ قريب في المعنى من الاستغاثة ، فقول الضلال عند قبور الصالحين أنا في حماك أنا في رحمتك استعاذة وعبادة ، قال الشاعر :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

الهيض : كسر العظم بعد جبوره . قال تعالى في سورة الجن ، « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا(٤)» .قال القاسمي : روى ابن جرير عن ابن عباس قال كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية يقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم ذلك إثما . ففي الآية إشارة إلى ما كانوا يعتقدون في الجاهلية من أن الوديان مقر الجن . وأن رؤساءها تحمي المستعيذين من ضرر الجن ، وهكذا قال إبراهيم :

---

(١) البقرة : ٦٧ .
(٢) الدخان : ٢٠ .
(٣) يوسف : ٢٣ .
(١) الجن : ٦ .

كانوا إذا نزلوا الوادى قالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه ، فيقول الجن ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرا ولا نفعا ، وقال الربيع بن أنس كانوا يقولون : فلان من الجن رب هذا الوادى فكان أحدهم إذا دخل الوادى يعوذ برب الوادى من دون الله قال فيزيدهم ذلك رهقا ، وهو الفقـــر .

قال ابن زيد : كان الرجل فى الجاهلية إذا نزل بواد قبـــل الإسلام قال : إنى أعوذ بكبير هذا الوادى ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم — انتهى . أى لأن ذلك من الشرك ، وكذا نزلت سورتا المعوذتين لتعليم الاستعاذة بالله وحده والتبرؤ من الاستعاذة بغيره ، وكذلك أذكار الاســتعاذات المأثورة لأنهـــا للإرشاد ، لذلك روى مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك .

الرابع : النذر لغير الله من الشرك لأنه عبادة يجب الوفاء به إذا كان الله . قال تعالى فى سورة البقرة « ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه (١) » وقال تعالى فى سورة الدهر « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (٢) » . وأخرج البخارى عن عائشة أن رسول الله — ﷺ — قال : من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه .

---

(١) البقرة : ٢٧٠ .
(٢) الدهر : ٧ .

الخامس : الذبح والنذر لغير الله قال تعالى فى سورة الأنعام « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١) » قوله سبحانه « ونسكى » قال مجاهد : النسك الذبح فى الحج والعمرة . قال محمد تقى الدين : وكل ذبح قصد به التعظيم فهو عبادة لقوله تعالى . « فصل لربك وانحر (٢) » . جمع الله سبحانه وتعالى هاتين العبادتين وهما الصلاة والذبح فى سورة الأنعام وفى سورة الكوثر وأمر نبيه — ﷺ — ، وفى ضمنه أمر لأمته ، أن يخصوا الله تعالى بهما كما يخصونه بسائر أنواع العبادة .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن على بن أبى طالب قال حدثنى رسول الله — ﷺ — بأربع كلمات ولعن الله من ذبح لغير الله ، الحديث .

السادس : الخوف بالغيب ، قال تعالى فى سورة التوبة « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (٣) » قال ابن كثير : كل عسى فى القرآن فهى واجبة . قال فى فتح المجيد فى ص ٣٤٤ : خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره قال تعالى فى قوم هود إنهم قالوا له « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى

---

(١) الأنعام : ١٦٣ .
(٢) الكوثر : ٢ .
(٣) التوبة : ١٨ .

جميعا ثم لا تنظرون (١) » وقال تعالى « ويخوفونك بالذين من دونه » (٢) ، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ويخوفون أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله وهذا ينافي التوحيد . وأما الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو أو سبع أو زلزال فليس بعبادة ولا شركا قال تعالى فى سورة طه « فأوجس فى نفسه خيفة موسى (٣) » .

السابع : الحلف بغير الله ، أخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن عمر ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ، وقد صح عن النبى ﷺ فى النهى عن الحلف بغير الله أحاديث .

الثامن : التبرك بالقبور والأمكنة التى تنسب إلى الأنبياء والصالحين من أعظم اسباب الكفر والشرك ، وهذا ما أدى إلى عبادة الأصنام والأوثان . أخرج البخارى فى تفسيره قوله تعالى فى سورة نوح « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (٤) » عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت » .

---

(١) هود : ٥٤ ، ٥٥ .
(٢) الزمر : ٣٦ .
(٣) طه : ٦٧ .
(٤) نوح : ٢٣ .

قال ابن كثير فى تفسيره : وقوله تعالى « وقد أضلوا » يعنى الأصنام التى اتخذوها أضلوا بها كثيرا فإنه قد استمرت عبادتها فى القرون إلى زماننا هذا فى العرب والعجم وسائر صنوف بنى آدم ، وقد اتفق المحققون من أهل العلم على أن أصل عبادة الأصنام هو الغلو فى الصالحين وتعظيم قبورهم واتخاذ المساجد عليها .

وقال القرطبى : وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم ، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس إليهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها . وقال ابن القيم رحمه الله : وما زال الشيطان يوحى إلى عباد القبور ويلقى إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين ، وأن الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها ، والله أعظم من أن يقسم عليه ويسأل بأحد من خلقه .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائها وعبادتها وسؤالها الشفاعة من دون الله واتخاذها أوثانا لها القناديل وتجعل عليه الستور ويطاف بها ويستلم ويقبل ويحج إليها ويذبح عندها . فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادتها واتخاذها عيدا ومنسكا ، ورأوا أن ذلك انفع لهم فى دنياهم وأخراهم ، وكل هذا قد علموه بالاضطرار من دين الإسلام وانه مضاد لما بعث الله به رسوله — ﷺ — من تجريد التوحيد وأن لا يعبد إلا الله .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى فى سورة الزمر « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (١)» وسرى ذلك فى نفوس كثير من الجهال والطغاة وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالفظائع ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وانصار دينه ورسوله ويأبى الله ذلك ، قال تعـــالى فى سورة الأنفال « وما كانوا أولياءه أن أولياؤه إلا المتقون (٢) » عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحــن حدثاء عهد بالكفر ، وللمشركين سدرة (أى شجرة من السدر) يعكفون عندها وينوطون (أى يعلقون) بها أسلحتهم يقال لهــا ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنوات فقال لهم رسول الله ـــ ﷺ ـــ الله أكبر ! إنها السنن قلتم ـــ والذى نفسى بيده ـــ كما قالت بنوا اسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (٣) ، قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه .

قال محمد تقى الدين : تأمل ايها الموفق لاتباع كتـــاب الله وسنة رسوله ، المحقق لتوحيد الله هذا الحديث تجد فيه مسائل :

الأولى : أن من قل علمه ولو من اهل القرون الأولى المصاحبين

---

(١) الزمر : ٤٥ .
(٢) الأنفال : ٣٤ .
(٣) الأعراف : ١٣٨ .

لرسول الله - ﷺ - قد يلتبس عليه الأمر وتخفى عليه بعض انواع الشرك فلا يعصمه من الوقوع فيه إلا الاستنارة بأنوار السنة المحمدية والرجوع إلى كتاب الله وبيان رسوله الكريم - ﷺ - ، وكذلك فعل أبو واقد وأصحابه فإنهم حين ظنوا ان التبرك بشجرة يأذن فيها رسول الله ﷺ لا بأس به ولا ينافى التوحيد ولا يتعارض مع قول « لا إله إلا الله » فأخبرهم النبى ﷺ مؤكدا إخبارهم بالقسم ومكبرا ، استعظاما لذلك الأمر : ان ما سألوه هو عين ما سأله قوم موسى ، وهو الشرك الأكبر الموجب للخلود فى جهنم .

الثانية : انه لا عبرة بالأسماء وإنما العبرة بالمسميات فإنهم لم يقولوا للنبى - ﷺ - : اجعل لنا إلها نعبده من هذه الشجرة بتعليق أسلحتنا فى أغصانها والتبرك بالجلوس عندها ، بل قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما للمشركين ذات انواط ، فأخبرهم ، وأكد لهم أن ذلك اتخاذ لتلك الشجرة إلها .

الثالثة : أن العبادة غير منحصرة فى السجود والركوع والدعاء والاستغاثة والاستعاذة ، بل كل قول أو عمل عظم به غير الله تعالى رجاء النفع ، وإن كان من الأماكن التى مر بها نبي صالح ، هو عبادة لذلك المكان ، ولا ينفع عابده زعمه أنه يتبرك بمكان كان فيه نبي فضلا عن غيره ، فتقبيل التوابيت والقبور والطواف بها والتمسح بها وأخذ ترابها للشفاء كل ذلك عبادة وشرك بالله تعالى .

الرابعة : فإن قيل هل اشرك أبو واقد واصحابه لما خطر ببالهم

ذلك ؟ قلنا لا : لأن الله تعالى لا يؤاخذ على الخواطر وما وسوست به النفس ما لم يعتقده الإنسان أو يتكلم به أو يعمله ، فإن قيل : لو أقدموا على ذلك ولم يسألوا النبى — ﷺ — هل كانوا يشركون ؟ فالجواب : أن ذلك مقتضى قول النبى — ﷺ — « قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى ولكنهم أجل — ولو كانوا حديثى عهد بكفر — من أن يقدموا على مثل ذلك أو أقل منه بلا دليل قاطع من كتاب الله وسنة رسوله ، فليعتبر بذلك الذين يسمون أنفسهم علماء ويبيحون اتخاذ المواسم والأعياد عند القبور والقباب ، ويحضرونها بأنفسهم ، ويأكلون من القرابين التى تذبح عندها ، وهى مما أهل لغير الله به ويشاركون العوام فى الابتهال والتضرع للأوثان فبعدا للقوم الظالمين فما تركوا للجهال إذن !! .

الخامسة : من إعلام نبوته من قوله « إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم اى لتتبعن طريقهم فى بدعهم ومعاصيهم وشركهم وكفرهم ، فنعوذ بالله من العصيان بعد الطاعة ، ومن الخذلان وعمى البصيرة .

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعى المعروف بابن أبى شامة فى كتاب البدع والحوادث : ومن هذا القسم أيضا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ، وإسراج مواضع مخصوصة فى كل بلد ، يحكى لهم حاك انه رأى فى منامه بها أحدا ممن اشتهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله وسنته ، ويظنون أنهم مقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع

تلك الأماكن فى قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضــاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها ، وهى من عيون وشجر وحائط وحجر، وفى مدينة دمشق مواضع متعددة كمدينة الحمى خارج باب «توما»، والعمود المخلق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة ، خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من اصلها فما أشبهها بذات انواط الواردة فى الحديث ــ انتهى .

وذكر ابن القيم رحمه الله مثل ما ذكره ابو شامة ثم قال : فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون : إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر ، اى تقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذر له ، وحديث أبى واقد أيضا رواه أحمد وابو يعلى وابن أبى شامة والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى .

وفى مغازى ابن إسحاق من زيادة يونس بن بكير عن أبى خلدة خالد بن دينار حدثنا ابو العالية قال : لما فتحنا « تستر » وجدنا فى بيت مال « الهرمزان » سريرا عليه رجل ميت ، عنــد راسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى « عمر » فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما اقرأ القرآن فقلت لأبى العالية ما كان فيه قال : ســيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت : فماذا صنعتم بالرجــل ؟ قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان الليــل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس ، قلت : وما يرجون منه قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره يستمطرون

فقلت.: من كنتم تظنون الرجل ؟ قال رجل يقال له « دانيال » : فقلت منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت ما كان تغير منه شيء ؟ قال لا : إلا شعيرات من قفاه . قال ابن القيم رحمه الله : ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم من تعمية قبره حتى لا يعثر عليه ، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله .

قال محمد تقى الدين : نشرت جريدة العلم الاستقلالية المشهورة قبل بضع سنين مقالا لمعلمة فاضلة اسمها « خديجة النعيمى » أنها كانت تسير مع نسوة فمررن بمكان فيه حجارة ، قد وضع بعضها على بعض كوما فقالت رفيقاتها : « نتاع الله يا للاحمارة) . . . . فأنكرت عليهن وقالت لهن : أفى الحمير أولياء فقلن نعم ! إن لها بركة مشهودة ، ورجت « خديجة النعيمى » فى ذلك المقال العلماء ليؤدوا ما فرض عليهم ويعلموا الناس السنة الصحيحة ، وينقذوهم من الشرك والضلال ، فأجبت دعوتها ونشرت فى صحيفة « العلم » عدة من المقالات بينت فيها الحق من الباطل وأقمت فيها الحجة على أن ذلك وأمثالة من الشرك الأكبر ، وما رأيت أحدا استجاب لدعوتها غيرى ، وما أحسن قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى رمادى

وهذا بالنسبة إلى من يسمون أنفسهم علماء فقليل منهم من يؤدى واجبه ويصدع بالحق . أما العوام فإنهم أقرب إلى الخير

فكثير منهم إذا عرفوا الحق تمسكوا به ، فسكوت هؤلاء المنافقين من العلماء أفضى بالناس إلى عبادة الحمير .

اما صاحب هذه الرسالة الوقحة فلم يقتصر على السكوت ولو اقتصر عليه لكان شيطانا أخرس كما جاء فى الخبر ولكنه فضل أن يكون شيطانا ناطقا فسيرى فى هذا الجواب إن شاء الله شهابا ثاقبا .

أمر عمر بن الخطاب بقطع شجرة الرضوان :

قال القاسمى فى تفسيره : قال الحافظ فى « الفتح » روى ابن سعد بإسناد صحيح « فقطعت » . وقال ابن وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول : أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى — ﷺ — فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة .

وفى فتح المجيد قال المعرور بن سويد : صليت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل يا أمير المؤمنين ! مسجد صلى فيه النبى — ﷺ — فهم يصلون فيه فقال إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا ، فمن أدركته الصلاة فى المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها .

قال صاحب فتح البيان فى تفسير سورة الفتح : وفى الصحيح

عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت ، والحكمة فى ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشهده الآن فيما دونها ، ولذلك أشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله ، كذا فى فتح البارى . ثم ذكر صاحب فتح البيان الحديث المتقدم عن نافع فى قطع الشجرة وقال أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه .

أحاديث النهى عن البناء على القبور والعبادة عندها سدا للذريعة الموصلة إلى الشرك :

١ ــ فى الصحيحين عن عائشة عن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبى ــ ﷺ ــ كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال شيخ الإسلام : فهؤلاء جمعوا بين فتنتين ، فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهذه العلة التى لأجلها نهى الشارع ــ ﷺ ــ عن اتخاذ المساجد على القبور ، وهى التى أوقعت كثيرا من الأمم إما فى الشرك الأكبر أو فى ما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين ، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذى يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك لقبة أو حجر ، ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون ويخضعون ويعبدون القبور بقلوبهم عبادة لا يفعلونها فى بيوت الله وقت السحر،ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه فى المساجد

فلأجل هذه المفسدة حسم النبى — ﷺ — مادتها حتى نهى عن الصلاة فى المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون سدا للذريعة .

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة فى تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله ، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالضرورة من دين الرسول — ﷺ — أن الصلاة عند القبور منهى عنها ، وأنه — ﷺ — لعن من اتخذها مساجدا ، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها . وقد تواترت النصوص عن النبى — ﷺ — بالنهى عن ذلك والتغليظ فيه . وقد صرح عامة الطوائف بالنهى عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة . وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهية والذى ينبغى أن تحمل عليه كراهة التحريم إحسانا للظن بالعلماء وأن لا يظن أنهم يجيزون فعل ما تواتر عن رسول — ﷺ — لعن فاعله والنهى عنه — انتهى .

٢ — فى الصحيحين عن عائشة أيضا قالت لما نزل برسول الله — ﷺ — طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : لعن الله على اليهود والنصارى اتخذوا

قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا .

قال فى فتح المجيد : قوله « لما نزل » هو بضم النون وكسر الزاى أى نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عيهم السلام . قوله « طفق » بكسر الفاء وفتحها والكسر أفصح ، وبه جاء القرآن ومعناه جعل . قوله « خميصة » بفتح المعجمة والصاد المهملة كساء له أعلام . قوله « فإذا اغتم بها » أى تضايق نفسه بسببها قوله « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى . . قوله « يحذر ما صنعوا » الظاهر أنه من كلام عائشة لأنها فهمت من قول النبى ـ ﷺ ـ تحذير أمته من هذا الصنيع الذى كانت تفعله اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو فى الأنبياء ومن أعظم الوسائل إلى الشرك ، ومن غربة الإسلام أن هذا الذى لعن الرسول ـ ﷺ ـ فاعليه تحذيرا لأمته أن يفعلوه معه ـ ﷺ ـ ومع الصالحين من أمته ، قد فعله الخلق الكثير من متأخرى هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات وهو من أعظم السيئات والمنكرات ، وما شعروا أن ذلك محادة لله ولرسوله ـ ﷺ ـ » .

قال القرطبى فى معنى هذا الحديث : وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب فى عبادة الأصنام ـ انتهى . إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم ، وتأمل قول الله تعالى فى يوسف بن يعقوب حيث يقول « واتبعت ملة

آبائى إبراهيم واسحاق ويعقـــوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء » نكرة فى سياق النفى تعم كل شرك .

قوله « ولولا ذلك » أى ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبى ـــ ﷺ ـــ مسجداً ، لأبرز قبره وجعل مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم فى البقيع . قوله « غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا» روى بفتح الخاء وضمها ، فعلى رواية الفتح يكون هو الذى خشى ذلك ـــ ﷺ ـــ وأمرهم أن يدفنوه فى المكان الذى قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خـــافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خوفا على الأمة أن يقع بعضها فى هذا الخطر الذى نهى عنه الرسول وحذر من فعله .

قال القرطبى : ولهذا بالغ المسلمون فى سد الذريعة فى قبر النبى ـــ ﷺ ـــ فاغلقوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل إليهـــا وجعلوها محدقة بقبره ـــ ﷺ ـــ ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة لتوجه المصلين ناحيته فتصور الصلاة بصورة العبـــادة فبنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهمـــا حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من اســـتقبال قبره ـــ انتهى .

٣ ـــ أخرج مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبى ـــ ﷺ ـــ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا خليـــلا لاتخذت أبا بكر

خليلا . الا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد إيراد هذا الحديث : فقد نهى عنه فى آخر حياته ، ثم إنه لعن وهو فى مرض الموت من فعله والصلاة عند القبور من ذلك وإن لم يبين مسجد ، وهو معنى قولها (أى السيدة عائشة) « خشى أن يتخذ مسجدا » فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا . وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال - ﷺ - « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » انتهى .

قال محمد تقى الدين : فى هذا الحديث دليل على أن ابا بكر الصديق هو أفضل أصحاب رسول الله - ﷺ - وهو الذى يستحق أن يكون خليفة بعده .

قال العلماء : الخلة أعلى درجة من المحبة ، ولذلك صرح النبى - ﷺ - بالمحبة لأبى بكر وابنته عائشة وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ، وأبى أن يتخذ أحدا من أهل الأرض خليلا . والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحب الصالحين المتواضعين للمؤمنين ، الأشداء على أعداء الإسلام كما قال فى سورة المائدة « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (١) » - ومع

---

(١) المائدة : ٥٤ .

ذلك لم يتخذ احدا من خلقه خليلا إلا إبراهيم ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما وإلى تفوق مرتبة الخلة على المحبة يشير قول الشــاعر :

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليــل خليلا

٤ ـ أخرج أحمــد وأبو حاتم وابن حبــان فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخــذون القبــور مســاجد .

قال صاحب فتح المجيد : قوله « والذين يتخذون القبــور مساجد ، معطوف على اسم « إن » فى محل نصب على نية تكرار العامل ، أى وإن من شرارالناس الذين يتخذون القبور مســاجد أى بالصلاة عندها وإليها ، وبناء المساجــد عليها ، وتقــدم فى الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصــارى ، وان النبى ـ ﷺ ـ لعنهم على ذلك تحذيرا لأمته أن يفعلوا ذلك مع نبيهم وصالحيهم مثل اليهود والنصارى ، فما رفع اكثرهم بذلك راسا ، بل اعتقدوا أن هذا الأمر قربة إلى الله وهو مما يبعدهم من الله ويطردهم من رحمته ومغفرته . والعجب أن أكثر من يدعى العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك ، بل ربما استحسنوه ورغبوا فى فعله ، فلقد اشتدت غربة الإسلام وعاد المعــروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير .

قال محمد تقى الدين : ومع ذلك كله لا نياس من وجــود طائفة قائمة بنصرة الحق ثابتة عليه مبلغــة له ، منصــورة به

لا يضرها من خالفها ولا من عاداها إلى يوم القيامة ، لأن النبى ـ ﷺ ـ بشرنا بذلك لما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم ؟ وقال ابن المبارك وعلى ابن المدينى وأحمد بن سنان والبخارى وغيرهم « إنهم أهل الحديث » .

وقد ظن هذا المشرك أن الجو قد خلا له فصار يبعث بالرسائل إلى اتخاذ الأولياء من دون الله وينهاهم عن اتباع سنة رسول الله ، الا ساء ما سولت له نفسه :

خلالك الجو فبيضي واصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى ..

لا بد من أخذك يوما فاحذرى

ومّا أحسن ما قال بعضهم :

دعانى لشب الحرب بينى وبينه

فقلت له لا لا هلم إلى السلم

فلما أبى ألقيت فضل عنانه

إليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

فكان صريع الخيل أول وهلة

فبعدا له مختار جهل على علم

٥ — روى مالك فى الموطأ عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله — ﷺ — قال : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .
وله شاهد عند أحمد بسنده عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رفعه « اللهم لا تجعل قبرى وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد وقد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ ، وفى ذلك يقول ابن القيم رحمه الله فى نونيته :

ودعا بأن لا يجعل القبر الذى قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عزة وحماية و صيان

ودل الحديث على أن قبر النبى — ﷺ — لو عبد كان وثنا، لكن حماه الله بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه . ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التى عليها ، وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها .

٦ — عن أبى هريرة قال : قال رسول الله — ﷺ — لا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن ، رواته ثقات . وعن على بن الحسين انه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى — ﷺ — فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : الا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله — ﷺ — قال : لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه الضياء فى المختارة ورواه أبو يعلى والقاضى إسماعيل.

وقال سعيد بن منصور فى سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنى سهيل بن صالح قال : رآنى الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم إلى العشاء فقلت لا أريده فقال ما لى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبى — ﷺ — فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال إن رسول الله قال : لا تتخذوا قبرى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن على حدثنا محمد بن عجلان عن أبى سعيد مولى المهرى قال : قال رسول الله — ﷺ : لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى .

فى هذا الحديث فوائد :

الأولى : أمر النبى — ﷺ — أمته أن يجعلوا بعض عبادتهم كالصلاة والدعاء وقراءة القرآن فى بيوتهم ، هذا فى غير الفرائض الخمس ، أما هى فالأفضل أن تكون فى المساجد إجماعا .

الثانية : تشبيه النبى — ﷺ — البيت الذى لا يصلى فيه ولا يقرأ فيه القرآن بالمقبرة دليل مفهومه النهى عن الصلاة وقراءة القرآن فى المقابر ، وقد مر التصريح بذلك فى الأحاديث السابقة .

الثالثة : نهى النبى ﷺ أمته عن اتخاذ قبره عيدا يحج الناس إليه كالمسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفات فإنها أعياد مكانية

يعود الناس إليها فى كل عام . والأعياد الزمانية هى التى تعود على الناس كعيد الأضحى وعيد الفطر . ومن المعلوم أن الرحال لا تشد إلى بقعة لفضل فيها إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام، ومسجد النبى والمسجد الأقصى .

الرابعة : إخبار النبى — ﷺ — أن صلاة المصلين وسلام المسلمين عليه يوصلهما الله إليه ، وإن كان المصلى فى أقصى مشارق الأرض ومغاربها فلا فرق بين بعيد وقريب ، ولذلك قال الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب : ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء ، يعنى أن من سلم على النبى — ﷺ — وهو ملتصق بحائط حجرته الشريفة أو فى مسجده كمن سلم عليه فى الأندلس.

الخامسه : إذا امتنع تحرى الدعاء عند حجرة النبى ﷺ فامتناعه عند قبور الصالحين أولى . وقد تقدم لعن من يفعله على لسان النبى — ﷺ — وكون فاعله من شرار الخلق عند الله ، واشتداد غضب الله عليهم فليبؤ بإثم ذلك كل من دعا إلى ضلالة كمرسل الرسالة المنكرة إلى إمام مسجد أرفود ، يدعوهم فيها إلى الشرك وترك سنة النبى — ﷺ — كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

السادسة : قال شيخ الإسلام رحمة الله عليه عقب تخريج هذا الحديث : فانظر إلى هذه السنة كيف أن مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله — ﷺ — قرب النسب وقرب الدار ، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط — انتهى.

السابعة : عن ابن عباس قال : لعن رسول الله ـ ﷺ ـ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن الثلاثة (أبو داود والترمذى وبن ماجه) ورواه أحمد والترمذى وصححه من حديث أبى هريرة ، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه .

وفيه مسائل :

الأولى : لعن النبى ـ ﷺ ـ لزائرات القبور يقتضى تحريم زيارة القبور على النساء مطلقا ، وفى الباب أحاديث متعددة ، وقد اختلف الأئمة فى ذلك ، والحق مع القائلين بالتحريم .

الثانية : لعن النبى ـ ﷺ ـ لمن يبنى مسجدا أو غيره على قبر كيفما كان ذلك القبر . وقد تقدمت الأحاديث فى ذلك بما فيه الغنية .

الثالثة : لعن النبى ﷺ لكل من يوقد سراجا أو شمعة أو نحوهما على قبر تعظيما له ، وكذلك من يعظمه بإهداء الأموال إليه والتصدق لوجه صاحبه إلى غير ذلك مما يفعله المشركون لآلهتهم وأوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله .

ولنقتصر على هذا القدر فى الرد على ما جاء فى رسالة المفتون من إباحة الشرك والترغيب فيه .

الفصـــل الثانى

(فى تحريم الإفتاء والقضاء بالتقليد وبيان أن التمذهب بدعة وأن من عجز عن أخذ الحكم من الكتاب والسنة يجوز له أن يقلد عالما من علماء زمانه يسأله مشافهة عما جاء عن الله ورسوله فى تلك المسألة ولا يلتزم شخصا بعينه ولا جماعة بأعيانها) :

أعلم أيها الطالب للحق المتبرىء من الشرك والبدعة وأهلهما! أن الله أرسل رسوله محمدا ـ ﷺ ـ بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فبلـغ الرسالة ولم يخص بها أحدا دون أحد وادى الأمانة على أكمل وجه ، وجاهد فى الله حق جهاده وعبـد الله حتى اتاه اليقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وتحمل عنه الرسالة أصحابه العدول الثقات الذين هم أغزر هذه الأمة علما ، وأقومها سبيلا ، وأطهرها قلوبا وأتقاها لله ، أختارهم الله لصحبة نبيه وقال فيهم « كنتم خير أمة أخرجت للناس (١) » . وأمركل من بعدهم باتباعهم فقال تعالى فى سورة التوبة«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٢) » .

وقال تعالى حاثا عباده على إتباع رسـوله فى سـورة

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) التوبة : ١٠٠ .

آل عمران « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (١) » وقال تعالى فى سورة الأعراف « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل » إلى أن قال « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (٢) » وقال تعالى فى سورة الأعراف « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون (٣) » والآيات فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى .

ثم تحمل الرسالة بعد الصحابة الكرام التابعون ، ورعوها حق رعايتها وكانوا أحق بها وأهلها ، ثم حملها تابعوهم من الأئمة المجتهدين والحفاظ المبرزين نفوا عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . ولم يكن فى تلك القرون المفضلة تشدد فى الدين . ولا تمذهب ، ولا تحزب ، ولا تعصب ، بل كانوا عباد إخوانا ، وعلى طاعته أعوانا ، وكان العامى فى تلك العصور إذا عنت له مسألة سأل من يصادفه من العلماء ، فكان الواحد يسأل فى مسألة أحد الخلفاء الراشدين ، وفى الأخرى عبد الله بن عباس، وفى الثالثة عبد الله بن مسعود ، وفى الرابعة عبد الله بن عمر وفى الخامسة جابر بن عبد الله . وهكذا ولم يتخذ أحد منهم رجلا بعينه يخص بالسؤال والاتباع دون غيره كانه نبى مرسل . حاشاهم من ذلك ، وإنما حدث ذلك بعد القرون

(١) آل عمران : ٣١ .
(٢) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٣) الأعراف : ٣ .

المفضلة اى فى القرون المذمومة على لسان رسول الله ـ ﷺ ـ .

وسأذكر هنا نبذة يسيرة من البراهين التى تثلج الصدور وترفع الحجب والستور ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

الأول : كل من اتخذ رجلا غير النبى ـ ﷺ ـ حجة يحلل به ، ويحرم به ، دون أن يسأله عن دليل ما أفتى به ، تحسينا للظن به ، واعتقادا منه انه لا يخطئى حكم الله أبدا ، فقد اتخذ ذلك الشخص ربا دون الله . وإليك برهانه : قال حافظ المغرب الإمام ابو عمر يوسف بن عبد البر النمرى الذى شرح الموطأ ثلاثة شروح فى كتابه جامع بيان العلم وفضله ما نصه :

قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد فى غير موضع فى كتابه فقال « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (١)» وروى عن حذيفة وغيره قالوا : لم يعبدوهم من دون الله ولكن أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم . قال عدى بن حاتم اتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب فقال يا عدى ألق هذا الإثم من عنقك وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى اتى على هذه الآية « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » قال قلت يا رسول الله ! إنا لم نتخذهم أربابا قال بلى : أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه فقلت بلى فقال : تلك عبادتهم .

---

(١) التوبة : ٣١ .

قال محمد تقى الدين : وروى الإمام ابن عبد البر آثارا فى هذا المعنى ، وبيان ذلك أن الحكم الشرعى لا يجوز أن يكون لأحد إلا لله فهو كالصلاة والصيام وسائر العبادات فمن جعله لغير الله فقد أشرك وقال تعالى فى سورة الشورى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله (١) » وقال تعالى فى سورة المائدة « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٢) . وقال تعالى فى سورة الشورى « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله (٣) » ولا حجة فى قول أحد كائنا من كان إلا فى كلام الله وكلام رسوله لأنه معصوم . قال تعالى فى سورة النجم « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (١) » .

واعلم أن ما فرضه الله على أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وسائر القرون المفضلة هو الذى فرضه الله على سائر المسلمين إلى يوم القيامة ، وما ابتدع بعدهم فى الدين فهو ضلال لا يقبله الله ولا يرضاه رسوله ـ ﷺ ـ أبدا ، فالتفرق إلى مذاهب وطرائق أو شيع أو فرق كله ضلال وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله .

---

(١) الشورى : ٢١ .
(٢) المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) الشورى : ١٠ .
(٤) النجم : ٣ ، ٤ .

ثم قال الإمام ابن عبد البر في باب فساد التقليد : وقال عز وجل « وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » فمنعهم الاقتداء بآبائهم من قبول الاهتداء « فقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون (١) » وفي هؤلاء ومثلهم قال الله عز وجل « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢) » وقال « إذا تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (٣) » وقال عز وجل عائبا لأهل الكفر وذاما لهم « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين (٤) » وقال « إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٥) » ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء.

وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر اولئك من الاحتجاج بها ، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد كما لو قلد رجل رجلا فكفر وقلد آخر فأذنب ، فقلد آخر في مسألة دنياه فاخطأ ، وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الآثام

---

(١) الزخرف : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) الأنفال : ٢٢ .
(٣) البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٤) الأنبياء : ٥٢ ، ٥٣ .
الأحزاب : ٦٧ .

فيه . ثم قال : وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا فى الباب قبل هذا ، وفى ثبوت إبطال التقليد أيضا . فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التى يجب التسليم لها وهى الكتاب والسنة ، او ما كان فى معناهما بدليل جامع بين ذلك .

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن إصبغ قال حدثنا أبو بكر بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنى لأخاف عليكم من زلة العالم ، ومن حكم جائر ومن هوى متبع . وبهذا الإسناد عن النبى ﷺ أنه قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله . ثم روى بسنده إلى عمر بن الخطاب قال : ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون . ثم روى بسنده إلى معاذ بن جبل قال الله : حكم قسط : هلك المرتابون ، إن وراءكم فتنا : يكثر المال ويفتح القرآن حتى يقراه المؤمن والمنافق ، والمرأة والصبى ، والأسود والأحمر ، فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فيما أظن أن يتبعونى حتى ابتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة ، وإياكم وزيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ، فإن على الحق نورا ، قالوا وكيف زيغة الحكيم ؟ قال : هى الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه ، فإنه يوشك أن يفىء وأن يراجع الحق ، وأن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة . فحسن ابتغاؤهما ووجودهما .

ثم بعد ذكر آثار عديدة عن الصحابة فى هذا المعنى ، قال

الإمام أبو عمر ما نصه : وإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطىء لم يجز لأحد أن يفتى أو يدين بقول لا يعرف وجهه . قال محمد تقى الدين : المراد بالوجه ، الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ، فجميع المسائل التى موه يذكرها المفتون « البو عصامى » باطلة ، لأنه لايعرف دليلا ولا يهتدى سبيلا ، ولا يحل له الإفتاء ابدا وإلا كان داخلا فى قوله تعالى فى سورة الأعراف « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (١) » ثم انشد أبو عمر للحسين بن على من ائمة آل البيت رضوان الله عليهم قال :

تريد تنام على ذى الشبه	وعلك إن نمت لم تنتبه
فجاهد وقلد كتاب الإله	لتلقى الإله إذا مت به
فقد قلد الناس رهبانهم	وكل يجادل عن راهبه
وللحق مستنبط واحد	وكل يرى الحق فى مذهبه
ففيما أرى عجب غير أن	بيان التفرق من أعجبه

ثم قال أبو عمر وثبت عن النبى ﷺ ما ذكرناه فى كتابنا هذا انه قال : تذهب العلماء ثم يتخذ الناس رؤساء جهالا ، يسألون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون ، وهذا كله نفى للتقليد لمن فهمه وهدى لرشده . حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن مطرف قال حدثنا سعيد ابن عثمان وسعيد بن حمير قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا سفيان بن عيينة قال : اضطجع

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : رياء ظاهر وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان فى حجور أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا ، وما أمروهم ائتمروا وقالوا لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره . وقال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد وبين إنسان يقلد وهذا كله لغير العامة ، فإن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لا تتبين موقع الحجة لعدم الفهم لأن العلم درجات لا سبيل إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله أعلم .

ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المرادون بقول الله تعالى « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (١) » وأجمعوا أن الأعمى لابد له من تقليد غيره ممن يثق بمعرفته بالقبلة ــ إذا أشكلت عليه ــ فكذلك من لا علم ولا بصر له بمعنى ما يدين به ، لا بد له من تقليد غيره ، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا ، وذلك ــ والله أعلم ــ لجهلها بالمعانى التى فيها يجوز التحليل والتحريم ، والقول فى العلم . وقد نظمت فى التقليد وموضعه أبياتا رجوت فى ذلك جزيل الأجر لما علمت أن من الناس من يسرع إلى حفظ المنظوم ويتعذر عليه المنثور وهى من قصيدة لى :

ياسائلى عن موضع التلقيد خذ	من الجواب بفهم لب حاضر
واصغ إلى قولى ودن بنصيحتى	واحفظ على بوادرى ونوادرى

(١) الأنبياء : ٧ .

لا فـرق بين مقلـد وبهيمـة | تنقـاد بين جنـادل ودعائـر
تبـا لقـاض أو لمفـت لا يرى | عللا ومعنى للمقـال السـائر
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ | مبعوث بالدين الحنيف الطاهر
ثم الصحابة عند عدمك سـنة | فأولاك أهل نهى وأهل بصائر
وكذلك إجمـاع الذين يلـونهم | من تابعيهـم كابرا عـن كابر
إجمـاع أمتنـا وقول نبينـا | مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر
وكذا المدينة حجة إن أجمعوا | متتـابعين أوائـلا بأواخـر
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد | ومع الدليـل فمـل بفهم وافر
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس | فرعا بفـرع كالجهـول الحائر
والشر ما فيـه فديتك أسوة | فانظـر ولا تحفـل بزلة ماهر

ثم روى بسنده إلى أبى « هريرة » قال : قال رسول الله ﷺ « من أفتى بفتيا عن غير تثبت فإنما إثمها على من أفتاه » .

أقول ، وهذا المفتون قد أفتى فى صحيفته الكاذبة الخاطئة فى مسائل كثيرة بدون تثبيت ولا دليل فهو يتحمل إثمها ، وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقليـة ؛ فأحسن ما رأيت من ذلك قول المزنى رحمه الله تعالى : يقال لمن حكم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به ؟ فإن قال :

---

(١) يونس : ٦٨ .

نعم أبطل التقليد ، لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد ، وإن قال : حكمت فيه بغير حجة قيل له : فلـم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال ، وقـد حرم الله ذلك إلا بحجـة ؟ قال عز وجل « إن عندكم من سلطان بهذا (١) » أى من حجة بهذا قال فإن قال : أنا أعلم أنى قد أصبت وإن لم أعرف الحجة لأنى قلدت كبيرا من العلماء ، وهو لا يقول إلا بحجة خفيت على ، قيل له : إذا جاز لك تقليد معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عليك وجب عليك أن تقلد معلم معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك ، فإن قال : نعم ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى حتى ينتهى الأمر إلى أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وإن أبى ذلك نقض قوله . وقيل له : كيف تجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا تجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما ؟ وهذا متناقض . فإن قال : لأن معلمى وإن كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه إلى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك ، قيل له : وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمه ، فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك . ومن جهة أخرى أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك لأنك جمعت علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمك ومقتضى هذا جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وكذلك الصحابى عنده يلزمه تقليد التابعى والتابعى لمن دونه ، وكفى بقول يؤول إلى هذا قبحا وفسادا .

قال أبو عمر : وقال أهل العلم والنظر : حد العلم . التبيين وإدراك المعلوم على ما هو عليه ، فمن بان له الشيء فقد علمه ،

---

(١) يونس : ٦٨ .

قالوا : والمقلد لا علم له ولم يختلفوا فى ذلك . ومن هاهنا قال البحتري :

عرف العالمون فضلك بالعلـ ـم وقال الجهال بالتقليد

وقال أبو عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكى : التقليد . معناه فى الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائلة عليه . وذلك ممنوع منه فى الشريعة ، والاتباع ما ثبتت عليه حجة ، وقال فى موضع آخر من كتابه كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده ، والتقليد فى دين الله غير صحيح ، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه ، والاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع .

تبرؤ الإمام مالك رحمه الله من المقلدين المفترين عليه : قال الإمام ابن عبد البر فى كتابه المذكور : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا أبو عبد الله ابن محمد بن أحمد القاضى المالكى، حدثنا موسى بن إسحاق ، قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال أخبرنا معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطىء فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه — انتهى .

وقد كتب الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فى هذا المعنى ، وهو الرد على المقلدين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، الكثير الطيب فى كتابه « إعلام الموقعين » ومن أهم ذلك المناظرة العظيمة التى عقدها فى المجلد الثانى بثمانين وجهـا .

يكفى المؤمن الصادق إذا كان من أهل العلم وجه واحد ليتوب إلى الله من تمذهبه وتعصبه ، ويتبع كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يتسع المجال فى هذه الرسالة المختصرة لذكر شىء من ذلك ، غير أنى أذكر عبارة من ذلك قليلة الألفاظ كثيرة المعانى . قال رحمه الله واجزل ثوابه : ياالله للعجب ! ماتت مذاهب أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ ومذاهب التابعين وتابعيهم إلا أربعة أنفس وهذه بدعة قبيحة اهـ .

وقال الإمام صالح بن محمد بن نوح الفلانى فى كتابه « إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع فى القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار » بعد نقله ما مر من كلام ابن عبد البر وأكثر منه كلاما ، ما نقله عن « سند بن عنان » شارح مدونة سحنون جاء فيه . وأما التقليد فلا يرضاه رجل رشيد ، ولسنا نقول إنه حرام على كل فرد بل نوجب معرفة الدليل ، وأقاويل الرجال ، ونوجب على العامى تقليد العالم ثم قال « سند » بعد ذكره الخلاف فى تقليد الميت ما نصه :

وإنما نقول نفس المقلد ليست على بصيرة ، ولا يتصف من العلم بحقيقة ، إذ ليس التقليد بطريق إلى العلم بوفاق أهل الآفاق ، وإن نازعنا فى ذلك برهانه فنقول : قال الله تعالى « فاحكم بين الناس بالحق (١) » وقال « لتحكم بين الناس بما أراك

(١) ص : ٢٦ .

الله (١) » وقال « ولا تقف ما ليس لك به علم (٢) » وقال « وأن تقولوا على الله ما تعلمون (٣) » . ومعلوم أن العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به ، فنقول للمقلد : إذا اختلفت الأقـــوال وتشعبت المذاهب من أين تعلم صحة قول من قلدته دون غيره ، أو صحة قولة له على قولة أخرى ، ولن يبدى كلاما فى قول إلا انعكس عليه فى نقيضه ، خاصة إذا عرض له ذلك فى قولة لإمام مذهبه الذى قلده ، وقولة تخالفها لبعض أئمة الصحابة .

وقال الإمام الشاطبى فى الاعتصام من جملة كلام طويل فى رد التقليد ما نصه (ج ٣ ، ص ٣٠١) ومن معنى كلام مالك : ما كان من كلامى موافقا للكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فاتركوه ، هذا معنى كلامه دون لفظه . قال محمد تقى الدين : يرحم الله أبا إسحاق ما أعظم ورعه فإنه لما لم يذكر لفظ مالك نبه على أنه رواه بالمعنى ، ونص كلام مالك هو ما تقدم مسندا مـن رواية ابن عبد البر ، وعندى من النقول عن الأئمة ونصوص الكتاب والسنة فى إبطال التقليد والتمذهب ما يضيق عنه الوقت فلذلك اكتفى بهذا القدر .

---

(١) النساء : ١٠٥ .
(٢) الإسراء : ٣٦ .
(٣) الأعراف : ٣٣ .

الفصـــل الثـــالث

(فى بيان ان كل بدعة فى الدين ضلالة)

إعلم ان الإمـــام ابا اســـحاق إبراهيـــم بن موسى اللخمى الشاطبى الغرناطى — رحمة الله عليه — ألف كتابا سماه «الاعتصام» اقام فيه من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة على أن البـــدع — كلها — إذا كانت فى الدين ضلالة ، وهى شر من أكبر الكبائر ، وبين إنقسامها إلى إضافية وحقيقية وبين أن حكمها واحد ، فكل من قرأه وتمسك بعد ذلك ببدعة ، فلا يخلو : إما يكون جاهلا لم يفهم معناه ، أو منافقا يبغض ما جاء به الرسول — ﷺ — ويدعى الإسلام ، تسترا لأغراض دنيوية خسيسة ، ولا يتسع وقتى لنقل كثير منه وإنما اقتصر على قليل ، ولكنه كاف شاف لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال الشاطبى فى الـــرد على « القـــرافى » وشـــيخه « ابن عبد السلام » اللذين زعما أن البدع تعتريها الأحكام الخمسة (ج ١ ، ص ١٤٧) فمثلا للواجب : بتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع . ومثلا للندوب : بصلاة التراويح . ومثلا للمكروه : بتخصيص الأيام الفاضلة بنـــوع من العبادة . ومثـــلا للمباح : باتخاذ المناخل للدقيق .

قال الشاطبى فى الرد عليهما : والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى ، بل هو فى نفسه متدافع

لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى لا من نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ، ولكان العمل داخلا فى عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها . فالجمع بين تلك الأشياء المبتدعة وبين الأدلة التى تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين .

أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعة لا من جهة أخرى ، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها فلا بدعة يتصور فيها التقسيم البتة ، إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر فى بابه . فما ذكره القرافى عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع فصحيح . وما قسمه فيها غير صحيح ، ومن العجب حكاية الاتفاق مع المصادمة بالخلاف ، ومع معرفته بما يلزمه فى خرق الإجماع ، وكأنه إنما اتبع فى هذا التقسيم شيخه من غير تأمل ، فإن ابن عبد السلام ظاهر منه أنه سمى المصالح المرسلة بدعا ، لأنها لم تدخل بأعيانها تحت النصوص المعينة ، ولكنها تلائم قواعد الشرع . فمن هنالك جعل القواعد هى الدالة على استحسانها مع تسميته لها بلفظ البدع .

واستحسانها من حيث دخولها تحت القواعد ، ولما بنى على اعتماد تلك القواعد استوت عنده مع الأعمال الداخلة تحت النصوص المعينة ، وصار من القائلين بالمصالح المرسلة وسماها بدعا فى اللفظ كما سمى عمر الجمع فى قيام رمضان فى المسجد بدعة ، وكما سيأتى إن شاء الله . أما القرافى فلا عذر له فى نقل تلك

الأقسام على غير مراد شيخه وعلى غير مراد العلماء لأنه خالف الكل فى ذلك التقسيم فصار مخالفا للإجماع .

ثم قال أبو إسحاق : وأما قسم المندوب فليس من البدع بحال وتبيين ذلك بالنظر فى الأمثلة التى مثل لها بصلاة التراويح فى رمضان جماعة فى المسجد ، فقد قام بها رسول الله — ﷺ — فى المسجد واجتمع الناس خلفه . فخرج أبو داود عن أبى ذر قال : صمنا مع رسول الله — ﷺ — رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى ذهب ثلث الليل ، فلما كانت السادسة لم يقم بنا ، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل . فقلنا يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة قال : قال رسول الله — ﷺ — إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليل . قال : فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس ، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قلت وما الفلاح ؟ قال السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر . ونحوه فى الترمذى وقال فيه حسن صحيح . لكنه — ﷺ — لما خاف افتراضه على الأمة أمسك عن ذلك . ففى الصحيح عن عائشة أن رسول الله — ﷺ — صلى فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا الليلة الثالثة والرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله — ﷺ — فلما أصبح : قال : قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعني من الخروج إلا إنى خشيت أن يفرض عليكم . وذلك فى رمضان ، وخرجه مالك فى الموطأ .

فتأملوا ! ففى هذا الحديث ما يدل على أنها سنة ، فإن قيامه أولا بهم دليل على صحة القيام فى المسجد فى رمضان ،

وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية الافتراض لا يدل على امتناعه مطلقا ، لأن زمانه كان زمان تشريع ووحى ، فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام ، فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله — ﷺ — رجع الأمر إلى أصله وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له . وإنما لم يقم بذلك أبو بكر لأحد أمرين ، إما لأنه رأى قيام الناس آخر الليل وما هم به عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل ، ذكره الطرطوشى . وإما لضيق زمانه عن النظر فى هذه الفروع ، مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح .

فلما تمهد الإسلام فى زمان عمر ورأى الناس فى المسجد أوزاعا كما جاء فى الخبر قال : لو جمعت الناس على قارىء واحد لكان أمثل ، فلما تم له ذلك نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل . ولقد اتفق السلف على صحة ذلك وإقراره . والأمة لا تجمع على ضلالة . وقد نص الأصوليون أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل شرعي .

فإن قيل : فقد سماها عمر بدعة وحسنها بقوله « نعمت البدعة هذه » وإذا ثبتت بدعة مستحسنة فى الشرع ثبت مطلق الإستحسان فى البدع . فالجواب : إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله — ﷺ — واتفق أنها لم تقع فى زمن أبى بكر ، لا أنها بدعة حقيقية فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة فى الأسامى ، وعند ذلك لا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم عنه ، لأنه نوع من تحريف الكلام عن مواضعه فقد قالت عائشة : إن كان رسول الله — ﷺ —

ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به النـاس فيفرض عليهم .

ثم قال ابو اسحاق فى القسم الخامس وهو المباح : وذكر فى قسم المباح مسألة المناخل وليست فى الحقيقة من البدع ، بل هى من باب التنعم ، ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع .

وفى حاشية الاعتصام قال بعض العلماء : البدعة اللغوية تعتريها الأحكام الخمسة ، وتنقسم إلى حسنة وسـيئة ، وأما البدعة الشرعية فلا تكون إلا سيئة .

قال محمد تقى الدين : والعجب من القرافى كيف نقل إجماع المالكية وغيرهم من ائمة السلف على أن البدعة كلها ضـلالة ثم خرق إجماعهم واستحسن بعضها ، وقد رأيت الرد المفحم الذى رد به الإمام الشاطبى وازيد ذلك وضوحا فأقول : قال الشاطبى فى الاعتصام : قال مالك رحمه الله : من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ـ ﷺ ـ خان الرسالة لأن الله يقول « اليوم اكملت لكم دينكم (١) » وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا .

وهذا الكلام المحكم يقطع دابر المبتدعين فقد تضمن الاحتجاج بالكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب فكما قال مالك ـ رحمه الله ـ : لم ينتقل الرسول الكريم من هذه الدار الفانية حتى اكمل الله الدين وبلغه الرسول البلاغ المبين ، فمن استحسن شيئا من البدع فإما أن يزعم أن النبى ـ ﷺ ـ انتقل إلى الرفيق الأعلى

---

(١) المائدة : ٣ .

قبل أن يكمل الله الدين ويتم النعمة أو يزعم : أن النبى — ﷺ — خان الرسالة بكتمان بعض ما أمر بتبليغه ، مع أنه لو زعم ذلك واقعا لا ينفعه زعمه .

أما الأول : فإذا لم يكمل الله الدين فمن ذا الذى يكمله . قال تعالى « فماذا بعد الحق إلا الضلال (١) » وكل شيء من الدين ليس من الله فهو من الشيطان ، ولا يدين به إلا من يعبد الشيطان. قال تعالى فى سور يس « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (٢) » .

أما الثانى : فمن زعم أن محمدا — ﷺ — كتم شيئا مما أمره الله بتبليغه فهو كافر إجماعا . وإذا كتم الرسول — ﷺ — شيئا من الدين ، حاشاه من ذلك ، فمن ذا الذى يستطيع ان يتلقى وحيا ويبلغه بعده ، وقد ختم الله الرسالة به صلوات الله وسلامه عليه ، وهكذا تدحض حجة المبتدعين ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وقد بدا لى أن أرد على القرافى ومن تبعه بطريقتى الخاصة فأقول : زعمه أن جمع القرآن بدعة واجبة باطل لأنه كان مجموعا فى زمان النبى — ﷺ — فى العسب واللخاف ، أى الحجارة البيض المصفحة ، وفى صدور الرجال ، وكان النبى — ﷺ — إذا نزلت

---

(١) يونس : ٣٢ .
(٢) يس : ٦٠ ، ٦٢ .

عليه الآية والآيات دعا أحد كتاب الوحي فأمره أن يكتبها في موضعها ، فلما توفى صلوات الله وسلامه عليه بقى القرآن مجموعا في بيت عائشة ، فأخذه أبو بكر الصديق منها ، وأمر بجمعه في كتاب واحد . ولا فرق بين الجمعين ولا بين الكتابين فأين الإحداث وأين الابتداع ؟ .

أما الشاطبي فجعل هذا من المصالح المرسلة التي فهمها أصحاب رسول الله — ﷺ — من نصوص القرآن والسنة ، ولو فرضنا أن أصحاب رسول الله — ﷺ — برئاسة أبي بكر الصديق أحدثوا في الدين أمرا — وحاشاهم من ذلك — فهل يستطيع المبتدع أن يبعثهم في مراقدهم ويأمرهم أن يجمعوا على بدعته حتى يتم له الاحتجاج ؟ أم يريد أن يقيس برأيه الفاسد بدعه الخبيثة على ما فعله أصحاب رسول الله — ﷺ — ؟ فيقال له : بفيك الحصى والجنادل (١) . إن القياس لا يكون إلا على أمر ثبت بنص من الكتاب والسنة . ونصوصها كلها تغبر في وجهك ، ولا يقيس إلا مجتهد وأنت مقلد أعمى ، بل بهيمة تقاد ، كما تقدم من كلام أبي عمر بن عبد البر .

أما تمثيلهم للقسم الثاني ، وهو المحرم بأخذ المكوس فهو عجيب ، لأن البدعة هي أن يتقرب المبتدع إلى الله بزعمه بأمر محدث حقيقة أو شكلا ، ولم يوجد أحد في الإسلام ، وإن كان أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين ، يدعي أن الغصب وأخذ المكوس قربة إلى الله ، كيف وهو محرم بالنصوص القاطعة وهو من أكبر الكبائر بالإجماع ، فهذا يكون الإفلاس .

---

(١) كناية عن منتهى الفجر والقصور .

أما تمثيلهم للثالث بصلاة التراويح ، فقد أثبت الشاطبى أنها سنة فعلها النبى — ﷺ — ثم تركها خوف أن تفرض ، فلما توفى وتم التشريع جمع عمر الناس على قارىء واحد . وتسمية ذلك بدعة هى تسمية لغوية ويقال فيه ما تقدم من نفى القياس ويزاد عليه أن القياس لا يكون فى العبادات أصلا كما حققه الإمام الشاطبى . وبرهان ذلك حديث عائشة فى الصحيحين مرفوعا « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » فدخل فى ذلك البدع الحقيقية ، كالتقرب إلى الله بالرقص ، وقرع الطبول ونحو ذلك ، والبدع الإضافية كالاجتماع على الذكر بلسان واحد ، وقراءة القرآن كذلك ، وما أشبه ذلك وهو كثير .

وتمثيلهم للرابع بتخصيص الأيام الفاضلة بعبادة من أوضح ما دلت عليه النصوص فهو بدعة إضافية .

وتمثيلهم للخامس باتخاذ المناخل ، فهو عجيب أيضا إذ لا ينوى أحد التقرب إلى الله تعالى بطحن الحب ولا بنخله وخبزه ولا أكله . وإنما ذلك أمر أباحه الله فمن شاء أن يأكله منخولا أو غير منخول فلا حرج فى ذلك . قال تعالى فى سورة الأعراف «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة (١) » وفى صحيح مسلم أن النبى — ﷺ — لما قدم المدينة وجدهم يلقحون النخل فقال ما هذا؟ فقالوا : شىء نأخذه من الذكر ونجعله فى الأنثى يصلح عليه التمر فقال : ما أراه ينفع . فتركوا التلقيح ففسد التمر وصار شيصا فأخبروه بذلك فقال : إذا حدثتكم عن الله فخذوا به فإنى لا أكذب

---

(١) الأعراف : ٣٢ .

على الله ، وانتم اعلم بأمور دنياكم ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام فأمور الدنيا ليست فيها بدعة .

وعن أبى ثعلبة الخشنى عن النبى — ﷺ — قال : إن الله فرض فرائض فلا تعتدوا ، وحد حدودا فلا تقربوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها . حديث حسن . رواه الدار قطنى — انتهى من كتاب الأربعين للنووى . وأخرج البزار فى مسنده والحاكم من حديث أبى الدرداء أن النبى — ﷺ — قال : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئا . ثم تلا هذه الآية « وماكان ربك نسيا (١) » وقال الحاكم صحيح الإسناد . وقال البزار إسناده صالح .

قال محمد تقى الدين : لو أن المبتدعين تأملوا هذا الحديث وأخلصوا لله لم يبتدعوا فى دين الله ، ولكن طبع الله على قلوبهم وأصمهم وأعمى أبصارهم . والمقصود هنا أن كل شىء لم ينص الكتاب والسنة على تحريمه ولا على تحليله فقد عفا الله عنه وهو مباح لأن الله لا ينسى شيئا ورسوله — ﷺ — لا يكتم شيئًا .

---

(٢) مريم : ٦٤ .

الفصـــل الرابع

فى مسائل فرعية جاءت فى رسالة البوعصـــامى العامى

قال محمد تقى الدين : ليس علينا أن نجيب عن المســـائل الفرعية التى ذكرها المفتون الفتـــان ، لأنه لا يجوز له الافتـــاء والانتقاد لأنه : عامى ، جاهل ، مقلد ، كما تقدم فى الفصل الثانى. ولكننا نتبرع بالجواب عن تلك المسائل رغبة فى إفادة من يقرأ هذا الكتاب .

المسألة الأولى : وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة.

قال مالك فى الموطأ : « وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة » حدثنى يحى عن عبد الله بن أبى المخـــارق البصرى أنه قال : من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت ، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة ، يضع اليمنى على اليسرى ، وتعجيل الفطر ، وتأخير السحور .

وحدثنى عن مالك عن أبى حازم بن دينار عن سهيل بن سعد أنه قال : كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة . قال أبو حازم : لا أعلم إلا أنه ينهى عن ذلك ــ انتهى . قال محمد تقى الدين : ألف الإمام مالك رحمه الله كتاب الموطأ ودرسه ستين سنة وتواتر عنه كل ما فيه . فكل قول نسب إليه خلاف ما فى الموطأ فإما أن يتفق الرواة عنه لذلك القول وإما

ان يختلفوا عنه ، فان اتفقوا وذلك محال فرواية الموطأ مقدمة على اتفاقهم ؛ لأن رواته اكثر واحفظ ولأنه كتبـه بيده ، وهو متواتر عنه . فيرد كل ما خالفه واما إذا اختلفوا فلا يحل لأحد أن ينسب إليه شيئا مما اختلفوا فيه إلا إذا عرف التاريخ . فحينئذ يمكنه أن ينسب إليه آخر القولين أو الأقوال وحينئذ تتعارض تلك الرواية مع ما فى الموطأ إن كانت مخالفة له فتسقط . ويقدم عليها ما فى الموطأ . والآن نذكر ما قال الأئمة فى المسألة :

عن وائل بن حجر انه رأى النبى ـ ﷺ ـ رفع يديه حين دخل فى الصـلاة وكبر ثم التحف بثوبه ، ثم وضـع اليمنى على اليسرى ، فلما اراد أن يركع أخرج يديه ثم رفعهما وكبر فركع ، فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه ، فلما سجد سجد بين كفيه . رواه أحمد ومسلم . وفى رواية لأحمد وأبى داود . ثم وضع يده اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد . وعن ابن مسعود أنه كان يصلى فوضـع يده اليسرى على اليمنى . فرآه النبى ـ ﷺ ـ فوضع يده اليمنى على اليسرى رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

قال الشوكانى فى النيل : جاء عن النبى ـ ﷺ ـ فى وضع اليمنى على اليسرى عشرون حديثا عن ثمانية عشر صحابيا وتابعيا . وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : قال أبو عمر : لم يرد فيه خلاف عن النبى ـ ﷺ ـ يعنى لم يرو أحد عن النبى ـ ﷺ ـ سدل اليدين لا فى حديث صحيح ولا ضعيف .

قال صاحب كتاب « المتونى والبتار » فإن وضع اليمين على

الشمال فى الصلوات كلها فرضا ونفلا هو مذهب مالك وقوله الذى لم يقل غيره ولا نقل أحد عنه سواه وهو المذكور فى الموطأ الذى ألفه بيده وقرىء عليه طول عمره ورواه عنه الآلاف من تلامذته وأصحابه . واستدل عليه بالحديث الصحيح الذى نقله عنه رواة الفقه وحملته من أصحابه المدنيين كمطرف بن عبد الله وعبد الملك ابن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشونى وعبد الله بن نافع المخزومى وأصحابه المصريين كأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن عبد الحكم وأصحابه العراقين كمحمد بن عمر الواقدى وغيره ، وهو مقتضى رواية على بن زياد التونسى عن أصحابه القيروانيين وهو الذى نقله ابن المنذر الإمام الحافظ الذى تصدر لنقل المذاهب بالأسانيد الصحيحة والطرق المتعددة عن الأئمة المجتهدين ، وهو الذى لم ترد السنة المطهرة والأحاديث النبوية إلا به عن سيد المرسلين — ﷺ — وعلى آله الطاهرين . ا هـ .

قال محمد تقى الدين : قد تبين لك أن مذهب النبى — ﷺ — ومذهب مالك هو وضع اليمنى على اليسرى بلا شك ، وليس مقصودنا أن ثبوت هذه السنة ومشروعيتها لجميع المسلمين يتوقف على رواية مالك لها أو عمله بها فإن الذى أوجب الله على جميع المسلمين قبل وجود مالك وفى زمان صباه وجهله وفى زمان علمه وإمامته هو اتباع رسول الله — ﷺ — وهو الواجب على جميع المسلمين إلى يوم القيامة ولم يجعل الله حجة على أحد من الناس — رجلا بعينه — إلا رجلا واحدا ، هو محمد رسول الله ، فمن اتبعه نجا وإن لم يسمع بمذهب أصلا ، ومن خالفه هلك وشقى ولا ينقذه زعمه انه يتمسك بمذهب مالك لأن مالكا قد تبرأ منه كما تقدم فى كلام ابن عبد البر .

ومالك وغيره من ائمة أهل السنة ينقلون لنا سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فنقلناها منهم إذا صحت بالقبول ونعمل بها ونترحم عليهم ولا نفضل احدا منهم على أحد ، والذى نسأل عنه فى قبورنا وفى الحشر هو محمد رسول الله ـ ﷺ ـ وإنما سقنا رواية وضع اليمنى على اليسرى عن مالك وأصحابه ليتبين جهل المفتون وجهل متبوعه « الجكنى » المبتدع .

والعجب من « البوعصامى » العامى ، بل العمى ، كيف تجرا وزعم أن الحديث الثانى من حديث الموطأ منسوخ ، فهذا افتراء لم يسبقه إليه احد إلا « الجكنى » وهما كاذبان خاطئسان فلعنة الله على الكاذبين .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح فى شرح الحديث المشار إليه « كان الناس يؤمرون » هذا حكمه حكم الحديث المرفوع لأنه محمول على أن الآمر لهم بذلك هو النبى ـ ﷺ ـ قال البيهقى: لا خلاف فى ذلك بين أهل النقل . قال النووى فى شرح مسلم وهذا حديث صحيح مرفوع . وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ إذ قال إذا لم تستح فافعل ما شئت وما أحسن قول الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ولو أن هذا العامى العمى رجع إلى حاشية ابن الحاج على « ميارة الصغير » لوجد فيها بعد حكاياه الفاسدة الكاسدة المتناقضة التى تكره العمل بسنة النبى ـ ﷺ ـ وهى المكروهة، لوجد فيها ما نصه :

وفى القبض ثلاثة اقوال أخر :

أحدها : الاستجابة مطلقا وهو قول مالك فى رواية مطرف وابن الماجشون عنه فى « الواضحة » وقول المدنيين من أصحابنا واختاره غير واحد من المحققين كاللخمى وابن العربى وابن عبد البر وابن رشد وابن عبد السلام . وعده ابن رشد فى المقدمات من فضائل الصلاة ، وتبعه عياض فى قواعده ونسبه فى الإكمال للجمهور ، وبه قال ائمة المذهب . الشافعى وابو حنيفة وأحمد وسفيان الثورى وإسحاق بن راهويه وابو ثور وداود بن على وابو جعفر بن الطبرى وغيرهم .

الثانى : إباحة القبض فيهما . وهو قول مالك فى سماع العرينيين وقول اشهب فى رسم شك فى طوافه من سماع ابن ابن القاسم من جامع العتبية .

الثالث : منعه فيهما حكاه « الباجى » ، وتبعه «ابن عرفة» وهو من الشذوذ بمكان ، قال الشيخ « ابو عبد الله محمد بن احمد المسناوى » فى رسالة فى القبض وإذا تقرر الخلاف فى أصل القبض كما ترى وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » وقد وجدنا سنة رسول الله ـ ﷺ ـ قد حكمت بمطلوبية القبض فى الصلاة بشهادة ما فى الموطأ والصحيحين وغيرهما من الأحاديث السالمة من الطعن . فالواجب الانتهاء إليها والوقوف عندها والقول بمقتضاها . ا هـ .

---

(١) النساء : ٥٩ .

المسألة الثانية : قراءة البسملة فى أول سورة الفاتحة وأول كل سورة فى الصلاة . أنقل الجواب من كتابى (المنح السانحة فى تفسير سورة الفاتحة القول الصحيح الراجح الذى ينبغى لكل مسلم يحتاط لدينه ويتبع الرسول - ﷺ - بريئا من العصبية الجاهلية ، وهى الاحتجاج بعمل الآباء والأجداد ، أن يقرأ البسملة مع الفاتحة فى كل ركعة ، يجهر بها فى الجهرية ويسر بها فى السرية . وسأقتصر على ما يشفى ويكفى من الأدلة لأنها كثيرة جدا يضيق الوقت عن استيفائها .

البسملة آية من الفاتحة ، ومن كل سورة فى القرآن على الراجح . أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - كان لا يعرف فصل السورة ، وفى رواية انقضاء السورة ، حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وأخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين . وأخرج ابن خزيمة فى صحيحه عن أم سلمة أن رسول الله - ﷺ - قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية وفى إسناده عمر بن هروة البلخى وفيه ضعف . وروى الدارقطنى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : إذا قرأتم « الحمد لله رب العالمين ، فاقرؤا « بسم الله الرحمن الرحيم » فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى . وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها . وقال إسناد رجاله كلهم ثقات . ورواه البخارى فى التاريخ . قال البيهقى : أحسن ما احتج به أصحابنا فى أن البسملة من القرآن وأنها من فواتح السور سوى براءة .

ما رويناه من جمع الصحابة كتاب الله عز وجل فى المصاحف

وانهم كتبوا فيها البسملة على رأس كل سورة سوى براءة ، فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن . وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد البسملة آية من الفاتحة ويقول : انتزع الشيطان منهم خير آية فى القرآن . رواه الشافعى .

الاختلاف فى الجهر بها فى الصلاة

كما وقع الخلاف فى إثباتها وقع الخلاف فى الجهر بها فى الصلاة . وقد أخرج النسائى فى سننه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة أنه صلى فجهر فى قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ : إنى لأشبهكم صلاة برسول الله — ﷺ — وصححه الدارقطنى والخطيب والبيهقى وغيرهم . وروى أبو داود والترمذى عن ابن عباس أن رسول الله — ﷺ — كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم قال الترمذى وليس إسناده بذلك ، وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس بلفظ كان رسول الله — ﷺ — يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال صحيح . وأخرجه البخارى فى صحيحه عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله — ﷺ — فقال كانت قراءته مدا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

وأخرج أحمد فى المسند وأبو داود فى السنن وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم فى مستدركه عن أم سلمة انها قالت : كان رسول

الله ــ ﷺ ــ يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . وقال الدار قطنى . إسناده صحيح وبهذا قال من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير . ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهرى وعكرمة وعطاء طاووس ومجاهد وعلى بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد ابن أسلم ومكحول وغيرهم ــ انتهى ــ من فتح البيان للإمام صديق حسن القنوجى .

قال محمد تقى الدين : سأثبت هنا من كلام المتمذهبين المقلدين ما يدل على مشروعية قراءة البسملة ولا أريد أن أحتج بكلامهم فإنه ليس بحجة شرعية ولكنه حجة على من يقدسه ويقدمه على كلام الله وكلام رسوله ــ ﷺ ــ ضلالا منه .

قال محمد الطالب بن حمدون بن الحجاج فى حاشيته على شرح « ميارة الصغير » على منظومة ابن عاشر : وذكر ابن عرفة فى البسملة أربعة أقوال . فقال : وفى كراهة البسملة واستحبابها فى الفرض ووجوبها أربع لا بأس بها . وابن رشد عن ابن مسلمة والمازرى عن ابن نافع مع عياض عن ابن مسلمة وأبى عمرو عن نافع والورع قراءتها للخروج من الخلاف قاله القرافى وغيره ، وكان المازرى يبسمل سرا فقيل له فى ذلك فقال : مذهب مالك قولا واحدا على أن من يبسمل بطلت صلاته وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها .

أقول : ومثل هذا يقال فى الفاتحة بالنسبة للمأموم ، فإن مذهب الشافعى والبخارى وجماعة من التابعين قولا واحدا على أن من ترك ولو حرفا منها ولو فى ركعة واحدة بطلت صلاته ، ومذهب مالك قولا واحدا على أن من قرأها خلف الإمام لم تبطل صلاته ، وصلاة يتفق الأئمة على صحتها خير من صلاة يقول بعضهم ببطلانها ، وإلى مشروعية قراءتها خلف الإمام ذهب بعض المالكية .

المسألة الثالثة : قراءة القرآن وإهداء ثوابه إلى الموتى بدعة .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسير قوله تعالى فى سورة النجم « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى » ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه فى صحف إبراهيم وموسى فقال « أن لا تزر وازرة وزر أخرى(١) » أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شىء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله منها أحد كما قال : « وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى(٢) » وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » اى أى كما لا يحمل عليها وزر غيرها كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية استنبط الشافعى رحمه الله ومن تبعه أن

---

(١) النجم : ٣٩ ، ٤٠ .
(١) النجم : ٣٨ .
(٢) فاطر : ١٨ .

القراءة لا يحصل ثواب إهدائها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله — ﷺ — امته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء . ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ولو كان خيرا لسبقونا إليه . وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء . فأما الدعاء والصدقة فمجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله — ﷺ — : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به . فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وأن ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالى « إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم (١) » الآية . والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله وثبت فى الصحيح من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، وقوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » أى يوم القيامة . كقوله تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٢ »

(١) يس : ١٢ .
(٢) التوبة : ١٠٥ .

أى فيخبركم به ويجزيكم عليه الجزاء الأوفى اى الأوفر ــ انتهى .

قال محمد تقى الدين : ومن ذلك تعلم أن ما زعمه « البوعصامى » العامى من أن عمر رضى الله عنه أوصى بقراءة الفاتحة وخاتمة البقرة (كذا) وعزاه إلى المشارق كذب وافتراء على عمر ، وحقه أن يعزى إلى المغارب لا إلى المشارق لبطلانه فهو غارب وليس بشارق . فمن رواه ؟ وأين إسناده ، ومن صححه أو حسنه ، وهل كتاب المشارق على فرض صحة نسبته إليه قرآن لا يحتاج إلى سنده ، أو احد الصحيحين ، أو احد الكتب الستة وما يقاربها ، فهذا يكون الإفلاس والالتجاء إلى بنيان الطريق (١) .

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم
يقولون اقوالا ولا يعلمونها
إذا قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين (٢) » ثم وقفت على الأثر الذى عزاه « البوعصامى » إلى عمر بن الخطاب جهلا منه او ممن نقل عنه ، وجدته مرويا عن عبد الله بن عمر ، رواه الخلال فى جامعه بإسنادين كلاهما يدور على عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن

---

(١) يقصد المؤلف أنه احتماء بجدران واهية واستناد إلى مستند غير قوى .
(٢) الأنعام : ١٤٥ .

أبيه عن عبد الله بن عمر أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها .

قال فى الهدى النبوى عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج شامى عن أبيه ما روى عنه سوى مبشر بن إسماعيل الحلبى — وفى هذا الإسناد ايضا الحسن بن أحمد بن الحكم دعى بالوراق لملازمته محمد بن إسماعيل الوراق . لا يعرف وقد روى عن محمد ابن إسماعيل هذا خبرا منكرا متنه « اليمين الفاجرة تعقم الرحم » وفى إسناده أيضا محمد بن قدامة الجوهرى اللؤلؤى أبو جعفر البغدادى قال ابن معين : ليس بشىء وقال أبو داود : ضعيف لم أكتب عنه شيئا .

أقول : ومن ذلك تعلم أن هذا الأثر لا يصح عن ابن عمر ، ولو فرضنا صحته فليس فيه حجة لأن قول الصحابى الواحد أو فعله ليس بحجة وإن لم يخالف الإجماع والسنة ، فكيف وقد خالفهما . والاقتداء بالنبى — ﷺ — فى أفعاله وأقواله وتروكه فرض على كل مسلم فى الأوامر والتروك . اما فى الأفعال فإن لم يكن من خصائصه — ﷺ — فهو سنة يثاب من فعله ولا يأثم من تركه . أما الأوامر والتروك فلا يسع أحدا مخالفتها ، ومن فعل التروك فقد ابتدع فى دين الله . فهو فى النار بنص حديث رسول الله — ﷺ — . والعبادات لا مجال فيها للرأى والقياس ، وإنما تؤخذ من هدى رسول الله ﷺ وقد تقدم الكلام على ذلك فى الفصل الثالث .

وقال الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم فى « كتاب

الروح » وفى النسائى وغيره من حديث معقل بن يسار المزنى عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال : اقرأوا « يس » على موتاكم . قال فى الهدى : حديث معقل بن يسار المزنى ، رواه أيضا أبو داود وابن ماجه واحمد ولفظه (يس قلب القرآن) لا يقراها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له . واقرأوها على موتاكم ، ورواه ايضا ابن حبان وصححه وأعله ابن القطان بالاضطراب وبكونه موقوفا على معقل بن يسار ، وبجهالة حال ابى عثمان وابيه المذكورين فى الإسناد وقد رأيت الذهبى يحمل الحكم عليه بما يلى :

أبو عثمان يقال : إسمه سعد عن ابيه معتل بن يسار المزنى بحديث أقرأوا (يس) على موتاكم لا يعرف ابوه ولا هو ، ولا روى عنه سليمان التيمى . وجاء فى التهذيب (ج ١٢ ص ١٦٥) إسمه هرم بن تسيب . وقيل بن هرم نصيب . وقال الدار قطنى : هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ، ولا يصح فى الباب حديث ، ولذلك كره مالك وأصحابه قراءة القرآن عند الميت وبعد موته وعلى قبره وهو الحق . والكراهة هنا كراهة تحريم لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة حرام فعلها . وعلى تقدير ثبوته فالمراد به من حضره الموت لا من مات وقضى نحبه . قال ابن القيم عقب إيراد الحديث المتقدم الذكر : وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر . والأول أظهر لوجوه :

الأول : انه نظير قوله « لقنوا موتاكم لا اله إلا الله » .

والثانى : انتفاع المحتضر بهذه السورة ، لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد وغبطة من مات بقوله

(يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين (١)) فتستبشر الروح بذلك فتحب لقاء الله ويحب الله لقاءها . فإن هذه السورة قلب القرآن ولها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر . وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى قال : كنا عند شيخنا أبى الوقت عبد الأول وهو فى السياق (٢) ، وكان آخر عهدنا به أنه نظر إلى السماء وضحك وقال : « يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » وقضى .

الثالث : أن هذا عمل الناس وعادتهم قديما وحديثا يقرأون « يس » عند المحتضر .

الرابع : أن الصحابة لو فهموا من قوله — ﷺ — « اقرأوا على موتاكم » قراءتها ، لما أخلو به وكان ذلك أمرا معتادا مشهورا بينهم .

الخامس : أن انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها فى آخر عهده بالدنيا هو المقصود . وأما قرأتها عند قبره فإنه لا يثاب على ذلك ، لأن الثواب إما بالقراءة أو بالإستماع وهو عمل قد انقطع عن الميت . وقال فى زاد المعاد : ولم يكن من هديه — ﷺ — أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره . وكل هذا بدعة حادثة مكروهة . وقال القاسمى فى تفسيره (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تؤاخذ نفس بذنب غيرها ، بل كل آثمة فإن إثمها عليها . وقال « القاشانى » : لأن

---

(١) يس : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) يقصد فى حالة الاحتضار .

العقاب يترتب على أفعال مظلمة رسخت فى النفس بتكرار الأباطيل والأقاويل السيئة التى هى الذنوب . وكذلك الثواب إنما يترتب على أضدادها من فعل الفضائل كما قال تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » أى إلا سعيه وكسبه .

تنبيهـــات :

الأول : قال ابن جرير : إنما عنى بقوله « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » الذى ضمن للوليد بن مغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة يقول : ألم يخبر قائل هذا القول وضامن هذا الضمان بالذى فى صحف موسى وإبراهيم : مكتوب لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . أى وأنه لا يجازى عامل إلا بعمله خيرا كان أم شرا ، انتهى . وظاهر السياق يشعر بنزول الآيات ردا على ما كانوا يتخرصونه ويتمنونه ويتحكمون فيه على الغيب لجاجا وجهلا . ومع ذلك مفهومها الشمولى جلى .

الثانى : قال السيوطى فى الإكليل : استدل به على عدم دخول النيابة فى العبادات عن الحى والميت ؛ واستدل به الشافعى على أن ثواب القرءة لا يلحق الأموات . قال خليل فى مختصره عاطفا على المكروهات : وقراءة عند موته وبعده وعلى قبره . قال الزرقانى : لأن القصد بزيارته تدبر ما وقع له وما هو فيه ، والقراءة يطلب فيها التدبر ولا يجتمع التدابرن غالبا . قال بنانى : ونص التوضيح فى باب الحج . مذهب مالك كراهة القراءة على القبر ، ونقله ابن جمرة فى شرح مختصر البخارى . وعلله بمثل ما تقدم عن الزرقانى ، ثم قال بنانى : فقول الزرقانى أن الأمر صريح فى الكراهة مطلقا ــ انتهى .

أقول وتحمل الكراهة هنا على كراهة التحريم وهو مقتضى شدة مالك وتمسكه بالسنة وإنكاره للبدعة وغلظته على المبتدعين كما تقدم عنه .

المسألة الرابعة التأمين والجهر به :

قال محمد تقى الدين : إعلم أن التأمين فى الصلاة عند نهاية الفاتحة فرض على كل مصل سرا وجهرا فى الجهرية لقول النبى - ﷺ - « صلوا كما رأيتمونى أصلى » أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث مالك بن الحويرث . وقد روى الأئمة فى التأمين سبعة عشر حديثا . وثلاثة آثار أقتصر على ذكر بعضها .

١ - عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

٢ - عن ابن شهاب كان رسول الله - ﷺ - يقول : « آمين » روى الجماعة إلا أن الترمذى لم يذكر قول ابن شهاب .

٣ - وفى رواية إذا قال الإمام « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فقولوا آمين . فإن الملائكة تقول « أمين » وإن الإمام يقول آمين ، فمن وافق تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . رواه أحمد والنسائى .

٤ - عن أبى هريرة قال كان رسول الله - ﷺ - إذا تلا « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الأول . رواه أبو داود .

٥ ــ وابن ماجه وقال حتى يسمعها الصف الأول فيرتج بهـا المسجد .

٦ ــ عن وائل بن حجر قال سمعت النبى ــ ﷺ ــ قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقال آمين . يمد بها صوته . رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

قال الشوكانى فى نيل الأوطار على منتقى الأخبار بعد ذكر الأحاديث الواردة فى هذا الباب ما نصه قوله فقال « آمين » يمد بها صوته . والحديث يدل على مشروعية التأمين للإمام والجهر ومد الصوت به .. قال الترمذى وبه قال غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبى ــ ﷺ ــ والتابعين ومن بعدهم يرون أن الرجل يرفع صوته بالتأمين ولا يخفيه وبه يقول الشافعى وأحمد وإسحاق ، واستدلوا على مشروعية الجهر به بحديث عائشة مرفوعا عند أحمد وابن ماجه والطبرانى بلفظ ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين . وحديث ابن عباس عند ابن ماجه بلفظ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول آمين . فأكثروا من قول آمين .

وقال محمد تقى الدين : وذهب مالك إلى أن الإمام لا يؤمن فى الجهرية ؛ إذ لم يبلغه شيء من تلك الأحاديث فله أجر واحد ولا لوم عليه ، وإنما اللوم والإثم على من بلغه حديث رسول الله ــ ﷺ ــ فى غاية الوضوح والصحة وعمل به الصحابة والتابعون واكثر الائمة المجتهدين . ثم ركب رأسه وتعمد معصية الرسول ــ ﷺ ــ ولم يقتصر على ذلك حتى أخذ ينهى الناس عن اتباع

سنة رسول الله ، ويكتب ذلك من بلد إلى بلد ولـم يقتصر على إضلال من عنده ،ن الناس . فهكذا تكون الجرأة والوقاحة وقلة الحياء من الله ومن الناس .

ياليت لى من جلد وجهك رقعة فأقـد منهـا حافرا للأدهـم

المسألة الخامسة نسبة السدل إلى الإمام الشافعى :

أقول : إن الشافعى وأتباعه كلهم يضعون أيمانهم على شمائلهم من زمانه إلى يومنا هذا . يعرف ذلك ويشهد به العلماء والعامة حتى صبيان المدارس الإبتدائيـة ، فكيف تجرد هـذا « البوعصامى » من كل علم وعقل وأتى بهذه الكذبة الفظيعة التى يجزيه الله عنها فى الدنيا والآخرة إن لم يتب . ونحن نسوق كلام الشافعى ليتبين كذب هذا المفتون وافتراءه على الأئمة كما افترى على الله .

قال المزنى فى مختصره لكتاب الأم ما لفظه : قال الشافعى وإذا أحرم إماما أو وحده نوى صلاته فى حال التكبير لا قبله ولا بعده ولا يجزئه إلا قوله ، الله أكبر أو الله الأكبر . فإن لم يحسن بالعربية كبر بلسانه . وكذلك الذكر وعليه أن يتعلم . ولا يكبر إن كان إماما حتى تستوى الصفوف خلفه ويرفع يديه إذا كبر حذو منكبيه ، ويأخذ كوعه الأيسر بكفه اليمنى ويجعلها تحت صدره ــ انتهى .

المسألة السادسة التوسل بالمخلوق :

إعلم أن التوسل هو ابتغاء الوسيلة أى السبب الموصل إلى المطلوب قال الله تعالى فى سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا اتقوا

الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون (١) »
وقال تعالى فى سورة الإسراء « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا (٢) » . والمراد بالتوسل إلى الله تعالى ، الأعمال الصالحة التى يتقرب بها إلى الله تعالى كما فى الحديث القدسى : ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه . ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه . رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

فالإقسام على الله بالمخلوق حرام ، وهو جهل من فاعله لأن هذا المقسم إما أن يقسم بأجسام المخلوقين وذلك جهل وضلال وباطل ، إذ لا يتقرب إلى الله بأجسام عباده ، إذ لا علاقة لأجسامهم بما يريده الله من ذلك التوسل ، وهو الإيمان والأعمال الصالحة . وإما أن يتوسل إلى الله بأعمالهم فهو جهل أيضا وضلال . لأن أعمالهم لهم ، لا يصل إليه منها شىء إلا ما أذن الله فيه كالدعاء ، وأعماله له ، لا يصل اليهم منهـا شىء إلا ما خصص كالدعاء والصدقة بشرطهما إذا صنعا بقصد إيصال الخير إلى من مات موحدا لله ومتبعا للرسول — ﷺ — ولا يجوز الدعاء ولا الصدقة على من مات مشركا بالله . ويتوسل إلى الله تعالى أيضا بأسمائه الحسنى . قال تعالى فى سورة الأعراف : ولله الأسماء الحسنى

(١) المائدة : ٣٥ .
(٢) الإسراء : ٥٧ .

فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعلمون (١) .

أما التوسل إلى الله تعالى بالعمل المتعلق بالنبى — ﷺ — وأصحابه وسائر المؤمنين إذا كان مشروعا فهو من خير الوسائل . فمن توسل إلى الله تعالى بمحبة النبى ﷺ — وطاعته واتباعه وتوقيره والدفاع عن سنته وتعظيم ما جاء به فقد أحسن وهو جدير بالقبول ، وكذلك التوسل بمحبة المؤمنين وإعانتهم وقضاء حاجاتهم والإحسان إليهم والدفاع عنهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم فذلك من أفضل الأعمال عند الله . وفى تلك الحال يكون الإنسان متوسلا إلى الله بعمله . وقد علمنا النبى — ﷺ — أن نتوسل إليه بأعمالنا كما فى حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسل كل واحد منهم إلى الله فاستجاب الله دعاءهم ولم يقل لنا اقسموا على الله بنبى أو ملك أو صالح .

قال العلامة المحقق بشير الشهسوانى فى كتابه « صيانة الإنسان » بعد ما ذكر أنواع التوسل المشروعة ص ٢٠١ ، وقد أشرت إلى بعضها فيما سبق .

« والسابع أن يقول : اللهم أسألك بحق فلان عبدك أو بجاهه أو حرمته أو نحو ذلك . فعن العز بن عبد السلام ومن تبعه عدم الجواز إلا بالنبى — ﷺ — . وعند الحنابلة فى أصح القولين أنه مكروه كراهة تحريم . ونقل القدورى وغيره من الحنفية عن أبى يوسف أنه قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به.

---

(١) الأعراف : ١٨٠ .

وفى جميع متونهم أن قول الداعى المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم ، وهو كالحرام فى العقوبة بالنار عند محمد . وعللوا ذلك كلهم بقولهم : إنه لا حق لمخلوق على الخالق » . ثم قال فى صفحة (٢٠٥) قال ابن بلدجى فى شرح المختار : ويكره أن يدعو الله إلا به ولا يقول اسـألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على خالقه ، ثم فى صفحة ٢٠٦ الثامن أن يسأل الله ويدعوه عند قبور الصالحين معتقدا أن الدعاء عند القبور مستجاب .

ونقل الحافظ أحمد بن عبد الحليم الحرانى فى المبسوط وهو من أشهر كتب المالكية الكبرى عن الإمام مالك رحمه الله كراهة التوسل بالمخلوق ، يعنى بذوات الأنبياء والصالحين ونقل ذلك فى كتاب التوسل والوسيلة له . وأدعية الكتاب والسنة الصحيحة ليس فيها توسل إلا بأسماء الله الحسنى وصفاته والعمل الصالح ، ففيها غنية عن الأدعية المبتدعة التى تنحو منحى الشرك والوثنية .

توســـل عمـــر بالعبـــاس

قال الشهسوانى فى ص ــ ٢٠٧ : المراد بالإستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد فى حديث أنس هو الإستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة فى الشرع وهى أن يخرج بمن يستسقى به إلى المصلى فيستسقى ، ويستقبل القبلة داعيا ويحـــول رداءه ويصلى ركعتين أو نحوه من هيآت الإستســـقاء التى وردت فى الصحاح . والدليل عليه قول عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليـــك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . ففى هـــذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبى ــ ﷺ والتوسل بالنبى ــ ﷺ ــ لم يكن إلا بأن يخرج النبى ــ ﷺ ــ ويستقبل القبلة ويحول رداءه ويصلى ركعتين أو نحوه من الهيآت الثابتة للإستسقاء . ولم يرد فى حديث ضعيف فضلا عن الحسن أو الصحيح أن الناس طلبوا الســـقيا والدعاء والصلاة وغيرهما بغير ما ثبت بالأحاديث ومن يدعى وروده فعليه الإثبـــات .

إذا ثبت هذا فاعلم أن الإستسقاء والتوسل على الهيآت التى وردت فى الصحاح للإستسقاء لا يمكن إلا بالحى لا بالميت ، فالقول بإمكان هذا الإستسقاء بالنبى ــ ﷺ ــ من أبطل الأباطيل ــ انتهى .

عمل اهل المدينة :

إعلم أنه لا حجة إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ لقوله تعالى فى سورة النساء : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (١) » أما الإجماع فهو داخل فيهما إذ لابد له من دليل منهما أو من أحدهما . وكذلك القياس عند من يقول به لابد أن يكون مبنيا على دليل من الكتاب والسنة . ولا حجة فى إجماع أهل بلد من البلدان عند جماهير الائمة . واختلف المالكية فى عمل أهل المدينة فأنكره بعضهم واثبته بعضهم مطلقا . والمحققون منهم فصلوا فقالوا : إن كان فى المنقولات وكان فى زمن الصحابة والتابعين . وكذلك فى الأمور العملية كالمد والصاع مثلا ، وعدم زكاة الخضر فهو مقدم على خبر الواحد ، لأن نقل جماعة مقدم على نقل واحد ، لأنه حينئذ من قبيل الشاذ . أما فى الاجتهادات فخبر الواحد مقدم عليه ، وإذا لم يوجد خبره فهل يحتج به قولا ، انظر أعلام الموقعين ونصه قال القاضى عبد الوهاب : وقد اختلف أصحابنا فيه ثلاثة اوجه .

أحدهما أنه ليس بحجة أصلا ، وان الحجة هى إجماع أهل المدينة من طريق النقل ، ولا يرجح به ايضا أحد الإجتهادين على الآخر . وهذا قول ابى بكر وأبى يعقوب الرازى والقاضى أبى بكر ابن منتاب والطيالسى والقاضى ابى الفرج والشيخ ابى بكر الأبهرى . وانكروا أن يكون هذا مذهبا لمالك ، ولأحد اصحابه ـ انتهى . أقول : وتقديم القاضى عبد الوهاب لهذا القول يقتضى أنه الراجح عنده . وقد أسرف الجهال فى الإحتجاج بعمل أهل المدينة ، ولم يميزوا المسائل التى ورد أنها من عمل أهل المدينة

---

(١) النساء : ٥٩ .

وهى المسائل التى لم يرد فيها شىء . غاية الأمر أن مالكا قد قال فيها قولا باجتهاده وليس بمعصوم ، إذ المعصوم واحد هو رسول الله — ﷺ — على أن المتبعين لرسول الله — ﷺ — وللصحابة والتابعين هم المتبعون لمالك فى الحقيقة لأن مالكا نهى عن اتباع قوله ، إذا خالف الدليل ، فمن اتبعه فى تلك الحال فقد عصى الله ورسوله وعصى مالكا نفسه وأطاع الشيطان .

وسأورد هنا مسائل خالف فيها مالك نفسه أهل المدينة والمنقول المحقق عن الصحابة والتابعين مع قيام الدليل على صحته ، وأورد بعض المسائل التى عمل بها النبى — ﷺ — وأصحابه والتابعين ومالك نفسه . ثم تركها بعض المنتسبين إلى مذهبه اعتماداً على بعض الأقوال الضعيفة السخيفة المنقولة عن مالك ثم أدعوا أن مالكا ترك العمل بذلك لمخالفته لعمل أهل المدينة .

المسألة الأولى — رفع اليدين عند الركوع والرفع منه —

رواه مالك فى حديث ابن عمر عن النبى — ﷺ — ولا شك انه عمل به لأن مقامه أجل من أن يروى عن النبى — ﷺ — حديثا صحيحا ولا يعمل به . ولم يقل فى الموطأ أن العمل على خلافه كما قال ذلك فى حديث (المتباعيان بالخيار ما لم يفترقا) . قال ابن القيم فى الأعلام انظر إلى العمل فى زمان رسول الله — ﷺ — والصحابة خلفه ، وهم يرفعون أيديهم فى الصلاة فى الركوع والرفع منه ، ثم العمل فى زمان الصحابة بعده حتى كان عبد الله ابن عمر إذا رأى من لا يرفع يديه حصبه وهو عمل كأنه رأى عين . وجمهور التابعين يعمل به فى المدينة وغيرها من الأمصار كما حكاه البخارى ومحمد بن نصر المروزى وغيرهما عنهم ثم صار العمل بخلافه .

قال محمد تقى الدين : فعبد الله بن عمر هو إمام اهل المدينة فى آخر زمان الصحابة وفى وسط زمان التابعين . وقد علمت أنه كان يعاقب من لا يرفع يديه يرميه بالحصباء . فلا شك أنه كان يعتقده فرضا إذ لا عقاب على ترك مستحب . ولو سئل سفيه آخر الزمان لماذا لا ترفع يديك عند الركوع والرفع منه ، لقال قلدت فى ذلك مالكا فقد نقل لى انه كان لا يرفع . فإن قيل له هذا كتابه الموطأ الذى الفه بيده ودرسه ستين سنة ليس فيه إلا الرفع . يقول لا عمل على الموطأ ، فلعل مالكا رواه عن النبى ﷺ وترك العمل به لأنه خلاف عمل اهل المدينة . فقال له : كذبت فعمل النبى ـ ﷺ ـ وعمل اهل المدينة فى أفضل عصورها هو الرفع .

المسألة الثانية :

دعاء الإستفتاح بعد التكبير ـ قال ابن القيم فى الأعلام : فانظر العمل فى زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى جهره بالاستفتاح فى الفرض فى مصلى النبى ـ ﷺ ـ وعمل الصحابة به ، ثم ترك العمل به فى زمان مالك بوصل التكبير بالقراءة من غير دعاء ولا تعوذ . أقول : فهذا عمل أهل المدينة ، جهر به الخليفة الثانى عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ وقد صح الحديث عن النبى ـ ﷺ ـ بذلك ، وفى الأزمنة المتاخرة ننسب إلى مالك تركه ، فعصى المقلدون الله ورسوله وعمر بن الخطاب وأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ والتابعين وعمل أهل المدينة المحقق فى افضل عصورها ، وتركوا دعاء الإستفتاح والتعوذ والبسملة .

المسألة الثالثة :

العمل بخيار المجلس ـ قال ابن القيم : انظر العمل فى زمان الصحابة كعبد الله بن عمر فى اعتبار خيار المجلس ومفارقته لمكان التبايع ليلزم العقد . ولا يخالفه فى ذلك صحابى ، ثم العمل به فى زمان التابعين وإمامهم وعالمهم سعيد بن المسيب يعمل به ويفتى به ولا ينكره عليه منكر . ثم صار العمل فى زمان ربيعة وسليمان بن بلال بخلاف ذلك . روى مالك فى الموطأ عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : المتباعيان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار . قال مالك: وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به فيه .

قال السيوطى فى شرح الموطأ قال ابن عبد البر أجمع العلماء على أن هذا الحديث ثابت عن النبى ـ ﷺ ـ وأنه أثبت ما نقل العدول ، وأكثرهم استعملوه وجعلوه أصلا من أصول الدين فى البيوع ورده مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ، ولا أعلم أحدا رده غير هؤلاء .

قال بعض المالكين دفعه مالك لإجماع أهل المدينة على ترك العمل به ، وذلك عنده أقوى من خبر الواحد . وقال بعضهم لا تصح هذه الدعوى لأن سعيد بن المسيب وبن شهاب روى عنهما منصوصا العمل به ، وهما أجل فقهاء أهل المدينة ، ولم يرو عن أحد من أهل المدينة نصا ترك العمل به إلا عن مالك وربيعة . وقد كان ابن أبى ذئب وهو من فقهاء أهل المدينة فى عصر مالك ، ينكر على مالك اختياره ترك العمل به حتى جرى

منه فى مالك قول خشن حمله عليه الغضب لم يستحسن مثله منه. فكيف يصح لأحد أن يدعى إجماع أهل المدينة عليه فى هذه المسألة — انتهى .

قال محمد تقى الدين : خيار المجلس ثابت عن النبى — ﷺ — وعن الصحابة والتابعين فى المدينة فنحن نعمل به ونرد كلام مالك وشيخه ربيعة ومحتسب المدينة فى ذلك الزمان سليمان بن بلال . وقد ثبت لك أن عمل أهل المدينة لا يستقر على حال بل يختلف باختلاف الازمنة والولاة فلا يحل لأحد أن يرد حديث النبى — ﷺ — وعمل الصحابة والتابعين من أهل المدينة وغيرهم لعمل ثلاثة رجال جاءوا من بعدهم ولم يأمرنا الله باتباعهم، حتى ولو لم يخالفوا حديث النبى — ﷺ — وعمل أهل المدينة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم فى عصر مالك كالإمام ابن ابى ذئب. ولو شئت أن أنقل مسائل أخرى من هذا القبيل ، لضاق المقام على نقلها . وفيما ذكرته كفاية لمن يعرف الرجال بالحق . أما من يعرف الحق بالرجال فهو ضال مضل فلا كلام معه .

وصية النبى ـ ﷺ ـ أن يطلب الاستغفار

من : « أويس القرفى »

قال محمد تقى الدين : وأى حجة لهذا المفتون فى هذا الخبر فإننا نبيح طلب الدعاء من الحى سواء أكان الطالب أعلى من المطلوب منه الدعاء مرتبة أو مساويا أو أدنى منه . فمثال الأعلى : طلب النبى ـ ﷺ ـ الدعاء من عمر حين استأذنه فى العمرة . وطلب عمر الدعاء من أويس ، وعمر أعلى منه بدرجات لا تحصى . بل أمرنا الله ورسوله ـ ﷺ ـ أن نصلى على النبى ـ ﷺ ـ ونسأل له الوسيلة ، وهى أعلى درجة فى الجنة . والصلاة دعاء للنبى ـ ﷺ ـ وهذه حجة على المفتون . إذ لو كان الدعاء يطلب من الملائكة أو الأنبياء فى حياتهم البرزخية ، أو الصحابة والصالحين والشهداء لما طلب عمر الدعاء من أويس، وكذلك استسقاء عمر بالعباس حجة على الخصم . لأن العباس كان حيا وقد صلى معهم صلاة الاستسقاء وسأل الله . فلم يستسق عمر بجسم العباس وإنما استسقى بدعاء العباس ، ولم يستسق بالنبى ـ ﷺ ـ لا هو ولا غيره من الصحابة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، وهو إجماع تركى . والإجماع على الترك حجة كالإجماع على العمل إذا ثبت بشرطه ، فإيراده للخبرين بحث عن حتفه بظلفه يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . واما زعمه أنهم كانوا يأخذون تراب حمزة للتبرك فهذا كلام فاسد لفظا ومعنى . فمن هؤلاء الذين يأخذون التراب للتبرك ؟ ولم لم يذكرهم المفتون ؟ وما معنى تراب حمزة ؟ تراب مزرعته ؟ أو تراب قبره ؟ الذى يقتضيه حال من ينصر

الشرك وعبادة القبور . إنه يريد به تراب قبره ولكنـــه لم يذكره ، وإذا كان التبرك بالأتربة جائزا فكيف تركوا تراب قبر حمزة ؟ وفى اى زمان كان ذلك ؟

أما فى زمان الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فحاشاهم من ذلك . كيف وقد تقدم عنهم من حماية حمى التوحيد ، بإخفاء مدفن « دانيال » وقطع شجرة بيعة الرضوان ، ما يعلى الله به درجاتهم ويبرئهم من كل مشرك منافق . وإن كان يريد أهل الأزمنة المتأخرة فقد كانت على قبر حمزة قبة عظيمة ، وكان النـــاس يحجون إليها فى كل سنة من الآفاق حتى من مصر ، فاتخذوهـــا وثنا ، فأراد الله تعالى أن يطهر قبر حمزة ســـيد الشـــهداء من رجسهم فوفق المجاهدين من رجال حزبه المفلحـــين فهدموهـــا وقلعوا الرخام حتى صار القبر كما كان على عهـــد رســـول الله — ﷺ — وعلى ذلك فما كان يمكن لأحد أن يأخذ ترابا من القبر إن لم يكن هنالك تراب ، وإنما كان هناك رخام وتابوت وستور حرير كما هو شأن اهل الأوثان فى أوثانهم . وأما بعد هدمهـــا فلا يتجرأ مشرك من عبدة القبور أن يأخذ ترابا منه لأن من تجرأ على ذلك يعاقب أشد العقاب . والعجب من هذا المفتون كيف لم يستح أن يذكر هذا الخبر الكاذب المفترى دون أن يعـــزوه إلى أحد أو يذكر مستنده ولكن من خذله الله وأراد فضيحتـــه فلن تملك له من الله شيئا .

(بدعة قراءة القرآن جماعة بنغمة واحدة)

أعلم أن الإجتماع لقراءة القرآن فى المسجد فى غير أوقات الصلاة مشروع لقول النبى — ﷺ — وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه . رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

لكن الإجماع لقراءة القرآن الموافقة لسنة النبى — ﷺ — وعمل السلف الصالح أن يقرأ أحد القوم والباقون يسمعون ، ومن عرض له شك فى معنى آية استوقف القارىء ، وتكلم من يحسن الكلام فى تفسيرها حتى ينجلى تفسيرها ، ويتضح للحاضرين ، ثم يستأنف القارىء القراءة . هكذا كان الأمر فى زمان النبى — ﷺ — وبعده إلى يومنا هذا فى جميع البلاد الإسلامية ما عدا بلاد المغرب فى العصر الأخير . فقد وضع لهم أحد المغاربة ويسمى « عبد الله الهبطى » ، وقفا محدثا ليتمكنوا به من قراءة القرآن جماعة بنغمة واحدة . فنشأ عن ذلك بدعة القراءة جماعة بأصوات مجتمعة على نغمة واحدة وهى بدعة قبيحة تشتمل على مفاسد كثيرة .

الأولى — أنها محدثة وقد قال النبى — ﷺ — وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

الثانية – عدم الإنصات فلا ينصت أحد منهم إلى الآخر ، بل يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ، وقد نهى النبى – ﷺ – عن ذلك بقوله ، كلكم يناجى ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن ، ولا يؤذ بعضكم بعضا .

الثالثة – ان اضطرار القارىء إلى التنفس واستمرار رفقائه فى القراءة يجعله يقطع القرآن ويترك فقرات كثيرة فتفوته كلمات فى لحظات تنفسه ، وذلك محرم بلا ريب .

الرابعة – انه يتنفس فى المد المتصل مثل جاء وشاء وأنبياء وآمنوا وما اشبه ذلك فيقطع الكلمة الواحدة نصفين . ولا شك فى ان ذلك محرم وخارج عن آداب القراءة . وقد نص ائمة القراءة على تحريم ما هو دون ذلك ، وهو الجمع بين الوقف والوصل . كتسكين باء لا ريب ، ووصلها بقوله تعالى « فيه هدى » قال الشيخ التهامى بن الطيب فى نصوصه :

الجمع بين الوصل والوقف حرام
نص عليه غير عالم همام

الخامسة – ان فى ذلك تشبها بأهل الكتاب فى صلواتهم فى كنائسهم . فواحدة من هذه المفاسد تكفى لتحريم ذلك ، والطامة الكبرى أنه يستحيل التدبر فى مثل تلك القراءة وقد زجر الله عن ذلك بقوله فى سورة محمد « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » ونحن نشاهد معظم من يقرأ على تلك القراءة لا يتدبر القرآن ولا ينتفع به . وتالله لقد شاهدت قراء القرآن على القبر فلم يتعظوا بمشاهدته ولا برؤية القبور ولا بما يقرؤونه من القرآن ، فقبح الله قوما هذه حالهم « وبعدا للقوم الظالمين » .

قال ابو إسحاق الشاطبى فى الاعتصام واعلموا أنه حيث قلنا إن العمل الزائد على المشروع يصير وصفا له أو كالوصف فإنما يعتبر بأحد أمور ثلاثة . إما بالقصد وإما بالعبادة وإما بالزيادة أو بالنقصان . اما بالعبادة كالجهر والإجتماع فى الذكر المشهور بين متصوفة الزمان . فإن بينه وبين الذكر المشروع بونا بعيدا إذ هما كالمضادين عادة ، وكالذين حكى عنهم ابن وضاح عن الأعمش عن بعض أصحابه قال : مر عبد الله برجل يقص فى المسجد على أصحابه وهو يقول : سبحوا عشرا وهللوا عشرا ، فقال عبد الله إنكم لأهدى من أصحاب محمد — ﷺ — أو أضل ؟ بل هذا « يعنى أضل » . وفى رواية عنه أن رجلا كان يجمع الناس فيقول : رحمه الله من قال كذا كذا مرة « الحمد لله » . قال فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال لهم : هديتم لما لم يهد نبيكم ، وإنكم لتمسكون بذنب ضلالة ، وذكر لهم أن ناسا بالكوفة يسبحون بالحصى فى المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل بين يديه كوما من حصى قال فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ويقول لقد أحدثتم بدعة وظلما وكأنكم فقتم أصحاب محمد — ﷺ — علما — انتهى .

تعليق : وقد روى هذا الحديث عن ابن مسعود من طريق كثيرة بعبارات مختلفة لفظا متفقة معنى ، بعض الروايات مطول وبعضها مختصر وفيه فوائد :

الأولى — هذا الحديث موقوف ولكنه فى حكم المرفوع ، لأن ابن مسعود صرح بأن ذلك مخالف لسنة النبى — ﷺ — ففى بعض الروايات ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هذه

ثيابه لم تبل ، وأوانيه لم تكسر ، ونساؤه شواب ، وقد أحدثتم ما أحدثتم . وفى رواية أخرى أن عبد الله بن مسعود لما طردهم من مسجد الكوفة ورماهم بالحصباء ، خرجوا إلى ظاهر الكوفة وبنوا مسجدا وأخذوا يعملون ذلك العمل . فأمر عبد الله بن مسعود بهدمه فهدم .

الثانية ـــ أن البدعة وإن كانت إضافية شر من المعاصى كما حققه أبو إسحاق الشاطبى فهى حرام ، إنما كانت شرا من المعاصى ، لأن المعصية يفعلها صاحبها وهو معترف بذنبه فيرجى له أن يتوب منها .

الثالثة ـــ أن المبتدع يستحق العقاب والطرد من المسجد إن كان الابتداع فيه .

الرابعة ـــ أن كل مسجد بنى على قبر أو بنىء لإرتكاب البدع فيه يجب هدمه . لأنه مثل مسجد الضرار الذى أمر رسول الله ـــ ﷺ ـــ بهدمه وإحراقه . فهدمه أصحابه وجعل كناسة ترمى فيه الجيف ، وقد نقل غير واحد عن ابن حجر الهيثمى أنه قال إن هذه المساجد المبنية على القبور هى أحق بالهدم من مسجد الضرار . وابن حجر هذا كان مبتدعا ضالا ولكنه فى هذه المسألة قال الحق . والحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها حيث وجدها . أما الإمام الحافظ بن حجر العسقلانى فهو إمام محقق لم يشرح أحد صحيح البخارى مثل شرحه المسمى بفتح البارى ولذلك قال العلماء لا هجرة بعد الفتح . أى لا شرح للبخارى يستحق الإعتبار بعد فتح البارى . ثم قال أبو إسحاق عاطفا على البدع المنكرة . ومن أمثلة ذلك أيضا قراءة القرآن على صوت واحد . فإن تلك

الهيئة زائدة على مشروعية القراءة . وكذلك الجهر الذى اعتاده أرباب الرواية ـــ انتهى .

قال محمد تقى الدين : والعجب من هؤلاء المشركين المبتدعين الضلال ، فإنهم يتلونون تلون الحرباء لا يستقرون على حال أبدا، فتارة يدعون أنهم مقلدون لمالك ، ويرون من خالف مذهبه كمن خالف القرآن والسنة الثابتة المحكمة . ويغلون فى ذلك إلى أن يجعلوا البسملة والتعوذ وقراءة الفاتحة خلف الإمام فى الجهرية والجهر بالتأمين ووضع اليمنى على اليسرى ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه وبعد القيام من التشهد الأول ، والسلام تسليمتين (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وما أشبه ذلك من السنة الثابتة عن النبى ـــ ﷺ ـــ التى يراها من له أدنى إلمام بالفقه فى الدين كالشمس فى رابعة النهار كأنه يشاهد النبى ـــ ﷺ ـــ يفعلها لا يشك فى ذلك ولا يرتاب فيه ، يجعلون ذلك من المنكرات التى يجب أن تغير . ويكتب فيها من بلد إلى بلد مع أن مالكا فى الحقيقة قائل ببعضها تفصيلا وبسائرها إجمالا ، ثم يخالفون فيما ينهى عنه ويكرهه كراهة تحريم من البدع التى لا تسند إلى أى دليل كعبادة القبور وزيارتها زيارة بدعية ، وقراءة القرآن على الميت بعد موته وعلى قبره ، وقراءة القرآن جماعة بصوت واحد ، وقراءة الأذكار والأوراد كذلك . وقد صرح بذلك خليل الذى يعدون مختصره قرآنا يتلى غلوا منهم وضلالا . قال فى مختصره عاطفا على المكروهات . وجهر بها فى مسجد كجماعة. ولا يبالون بخلافه فيما اعتادوه من البدع ، فيحلونه عاما ويحرمونه عاما . وما أحسن قوله تعالى فى سورة القصص يخاطب رسوله ـــ ﷺ ـــ « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ،

ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين (١) » .

(أحكام آيــة النجم)

زعم المفتون ان آية الجم (٢) منسوخة بآية « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان » وهو قول باطل حكاه بعض المفسرين عن ابن عباس ولا يصح ، وقد رأيت أن الشافعى رحمه الله احتج بآية النجم على عدم وصول ثــواب قــراءة القــرآن للأموات والإمامان ابن جرير الطبرى وابن كثير يريانها محكمة . والسيوطى فى الإتقان قد عد الآيات التى صح أنها منسوخة ولم يعد هــذه منها ، وقد تقدم عنه أنه نقل احتجاج الشافعى منها ، وبذلك تعلم بطلان ما ادعاه المفتون . ثم أنها خبر والنسخ لا يقع فى الأخبار، بل الله احتج بها على الذى تولى . اى أعرض عن الإسلام واعطى قليلا وأكدى ، اى منع العطاء . قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل غيره ، وذلك دليل قاطع على أنها محكمة . والعجب من هــذا المبتدع كيف يعجب على أهل مسجد « أرفود » عملهم بسنة النبى — ﷺ — ويجعله منكرا بلا حجة إلا مخالفة مذهب مالك ، ثم يخالفه هو فى أمور تقدم ذكرها . ومن جملة ما خالف فيه مذهب مالك القول بصــحة النيابة فى الحج والصوم ، ولو ذهبنا نحصى تناقضه لضاق بنا المجال فنقتصر على هذا القدر منشدين :

إن عادت العقرب عدنا لهــا وكانت النعــل لهــا حاضرة

---

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » .

انتفــاع الإنسان بعمل غــيره

سرد « البوعصامى » العامى اثنى عشر وجها يستدل بهـا على انتفاع الإنسان بعمل غيره . ولم يذكر من أدلتها إلا قليـلا كعادته فى التهور وإصدار الأحكام بلا دليل ، كأنه يخاطب عـوام مثله يسلمون له كل ما يزعم . وأقول فى ذلك قولا مفصلا مختصرا مفيدا : كل عمل صح النقل بأنه ينفع عامله كالدعاء والصـدقة والحج والصوم المنذور خلافا للمالكية فى هذين الآخرين ، فهـو تخصيص عموم آية النجم المتقدم بيانها . وما لم يصح دليله أو لم يوجد له دليل أصلا كزعمه أن الأبناء يدخلون الجنة بعمل آبائهم فهو كذب على الله ورسوله . ومن البراهين القاطعة فى رد هذه الدعوى الوقحة ما جاء فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير سورة الشعراء فى قوله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » عن أبى هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله « وأنذر عشيرتك الأقربين » يا معشر قريش أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا . ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا . ويا فاطمة بنت محمـد سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا .

فتأملوا أيها الموحدون المتبعون لكتـاب الله وسـنة رسوله — ﷺ — كيف أمر الله رسوله — ﷺ — أن ينذر أقرب الناس إليه نسبا وأن يحذرهم من عذاب الله . وكيف امتثل رسول الله ﷺ

— ﷺ — ما أمره الله به على أحسن الوجوه وأكملها . فأنذرهم بذلك التفصيل والبيان حتى انتهى إلى فاطمة ابنته سيدة نساء العالمين فقال لها : يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا .

وأخرج أحمد والشيخان والترمذي عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله — ﷺ — فعم وخص فقال يا معشر قريش — أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا ، إلا أن لكم رحما سأبلها ببلاها ، انتهى .

فما معنى قول النبي ﷺ لابنته التي هي بضعة منه : يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار ، لا أغني عنك من الله شيئا . إذا كان أبناء المؤمنين يدخلون الجنة اعتمادا على عمل آبائهم بلا إيمان ولا عمل ، أليس قائل هذا القول مفتريا على الله الكذب ، فإن كان يعلم هذا الحديث ومعنى الآية فقد كفر لتكذيبه بالقرآن والحديث ، ورده ما جاء من الله ورسوله واضحا — كالشمس في رابعة النهار وما يتلى في القرآن ويقرأ في الصحيحين بتفسير سيد الأولين والآخرين ، وإن كان يجهله فكيف نصب نفسه لدعوة الناس إلى الدين والأمر بالمعروف بزعمه وإنكار المنكر وهو في هذه الدركة من الجهل . ولا غرابة في ذلك فمن لم يعرف معنى « لا إله إلا الله » وأشرك بالله ودعا إلى عبادة غيره بلا حشمة ولا حياء كيف يرجى

له أن يعرف معانى الكتاب والسنة ، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون .

ثم ذكر « البوعصامى » العمى كتبا أحال القارىء لهذيانه على مراجعتها على سبيل الإجمال تمويها وتضليلا ، ومنها ما سماه « كتاب الرد على الوهابية » ولا يعرف كتاب بهذا الإسم يختص به ، وقد لفق جماعة من المشركين المبتدعين عباد الأضرحة رسائل سموها بالرد على الوهابية ولا توجد فرقة على وجــه الأرض تسمى نفسها وهابية . ولكن المبتدعين والمشركين اخترعوا هذه التسمية ليطلقوها على كل من يوحد الله ويتبع سنة رسول الله — ﷺ — ويتجنب البدع والمحدثات ، كما كان المشركون يسمون رسول الله — ﷺ — مذمما ، بل المشركون الأولون أعقل من هؤلاء المتأخرين فإنهم سموا النبى — ﷺ — باسم يدل على الذم فى لغتهم وهم المذمومون ، والنبى — ﷺ — طاهر مطهر لا يلحق به شيىء من ذمهم ، وكذلك من اتبعه إلى يوم القيامة مسلمون حنفاء ، لا يضيرهم ما يقول فيهم أعداؤهم . أما المشركون المتأخرون فهم جهال بالألفاظ والمعانى كالقارىء الذى قرأ « فخر عليهم السقف من تحتهم » فقيل له لا عقل عندك ولا قرآن ، فتسمية أهل الحــق بالوهابية نسبة إلى الوهاب من أحسن الأسامى . قال تعالى حكاية عن إبراهيم أبى الحنفاء الموحدين فى سورة مريم « فلمــا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب ، وكلا جعلنا نبيا . ووهبنا لهم من رحمتنا لهم لسان صدق عليها » .

والحنفاء فى كل زمان ومكان يقتدون بأبيهم إبراهيم فيعتزلون

أهل الشرك وما يعبدون من دون الله . ويدعون الله وحده راجين فضله ، فيسعدون ولا يشقون ، فيهب لهم وهو الوهاب ، من رحمته كل ما أملوه ويجعل لهم لسان صدق عليا . وقد أنطق الله المشركين بكلمة الحق على رغم أنوفهم فسموا أهل الحق نسبة إلى الكريم الوهاب ، وسيأتى إن شاء الله فى القصيدة البائية . وقد تجرأ هذا الدجال على الله وعلى عباده المؤمنين فنسبهم إلى الزندقة (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وقد علل ذلك بأنهم ينكرون ما سماه بأولياء الله يعنى الأوثان . وتعالى الله أن تكون الأوثان له أولياء . « إن أولياؤه إلا المتقون ولكن المشركين لا يعلمون » فما معنى هؤلاء الأولياء ؟

أما نصوص القرآن والحديث فهى متفقة على أن أولياء الله هم المؤمنون الموحدون المتبعون لسنة رسول الله — ﷺ — . ومن لم يكن منهم فهو من أعداء الله . قال تعالى فى سورة البقرة « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات . أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . فأنت ترى أيها القارئ الموفق لاتباع الحق وتجنب الباطل ، أن الله قسم جميع الناس وجعلهم فريقين لا ثالث لهما ، الكافرين بالطاغوت ، والمؤمنين بالله المتمسكين بالعروة الوثقى التى لاتنفصم وهم أولياء الله ، لا يتخذون غيره وليا أبدا . فهو الذى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والفريق الثانى هم المشركون أعداء الله ، أولياء الطاغوت ، وهم شيوخ الضلال ، ورئيسهم إبليس ،

يخرجونهم من النور إلى اللظمات ، أولئك أصاحب النار هم فيها خالدون . ومثل ذلك قوله فى سورة الأعراف « فريقا هـــدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة ، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون » فالمؤمنون هداهم الله لتوحيده واتباع ما أنزل من الله وما أمرهم به الرسول ، والمشركون حقت عليهم الضلالة ، فأخذوا الشياطين أولياء من دون الله وظنوا مع ذلك أنهم مهتدون . هذا فيمن عبد الأوثان وسماها بأسمائها . فهؤلاء لم يعبدوا إلا الشياطين الذين أضلوا وزينوا لهـــم الشرك بالله وأوهمـــوهم أن عباد الله الصالحين والأنبياء والمرســـلين والملائكة المقربين يرضون بعباداتهم ويشفعون لهم . كما قال تعـــالى فى سورة الزمر « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، إن الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار » فسمى الله زعمهم اتخـــاذ أولئك الصالحين أولياء من دون الله وعبادتهم لهم وزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله سمى ذلك كله كذبا ومبالغة فى الكفر فهم كاذبون كافرون ولن يهديهم أبدا ما داموا مصرين على ذلك . وقال تعالى فى هذا المعنى فى سورة الكهف « أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هـــل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهـــم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » وقال تعالى فى ســـورة الأنعام « قل أغـــير الله أتخـــذ وليا فاطـــر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » فالمشركون لفساد عقولهم يشركون بالله

الذى يطعمهم ، ويتخذون أولياء عاجزين جائعين محتاجين إلى من يطعمهم . فالمشركون يطعمونهم ويعبدونهم « ألا ذلك هو الخسران المبين » . وقال تعالى فى سورة الشورى « أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » فالمؤمن من يتخذ الله وحده وليا وهو حسبه ونعم الوكيل ، والمشركون يتخذون أولياء كثيرا عددهم ، وقد عرفت الآن معنى ولى الله ومعنى عدو الله ومعنى اتخاذ الأولياء من دون الله ، فالمؤمن الموحد المتبع للسنة ولى الله . وإخوانه المؤمنون أولياء الله ، فلا يتصور أن ينكرهم فلو أنكرهم لأنكر نفسه وسائر فرق الهدى ، وذلك محال .

أما النصارى فيقسمون الناس إلى ثلاثة اقسام ، فالذى يسمونه الإله يشتمل على ثلاثة أقانيم . الأب وهو الله ، والإبن وهو عيسى ، وروح القدس وهذا معنى قوله تعالى فى سورة المائدة : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » الآيات .

والقسم الثانى : يسمونهم القديسين،وعددهم كثير منهم رجال ومنهم نساء . كل واحد له يوم من أيام السنة يتخذونه موسما ويتقربون إليه فيه بأنواع من العبادات ، كالذبح والنذر والدعاء والإستغاثة ، وقد يصورون تمثالا يتخذونه ويسمونه باسمه ويركبون ويعتقدون أن هؤلاء يتصرفون فى الكون وينفعون ويضرون ويصعدون إلى السماء ولكن رتبتهم دون القسم الأول .

والقسم الثالث : هم عامة النصارى وهذه العقيدة هى التى اتخذها الجهال الذين يزعمون أنهم مسلمون ، فالقسم الذى يسميه

النصارى قديسين يسمونه‌هم أولياءالله ،ويفعلون معه مايفعله‌النصارى مع مقدسيهم ونحن نشهد بالله أن هذا القسم لا وجود له فى الإسلام ولا فى دين المسيح الحق غير المبدل ، فليس هناك إلا سيد واحد وغيره عبيد خاضعون لأمره مطيعون له ، فالسيد هو الله والخلق كلهم عبيد ، ولكن الأنبياء فضلهم الله وخصهم بالوحى والرسالة ، فهم سادات لسائر العبيد ولا يبلغ مرتبتهم أحد غيرهم ولكنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يدعون ولا يستغاث بهم ومن دعاهم أو صرف لهم شيئا من العبادة فهو كافر . أما المؤمنين فهم أولياء الله وحزبه المفلحون ، فأولهم عند أهل السنة فى الفضل أبو بكر الصديق رضى الله عنه وآخرهم فى الفضل رجل يخرج من النار بشفاعة النبى ـــ ﷺ ـــ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وكلهم أولياء الله ، وبذلك تعلم فساد كلام « البوعصامى » وأنه جار على طريقة من ذكرنا من النصارى وسائر من يعتقد تعدد الآلهة ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى الفصل الأول .

حقــوق أهل البيت ما لهم وما عليهم

ثم قال « البوعـاصى » العمى معترضـا ــ وينكرون أهل البيت الذين قال الله فيهم « قل لا أسـألكم عليه أجرا » الخ وقال عليـــه السلام : « أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا » رواه مسلم . قالوا من أهل البيت قال ذرية فاطمة إلى يوم القيامة .

لقد حرف هذا المشرك معنى الآية وزاد الحديث كذبا وافتراء منه ودونك تفسير الآية ومعنى الحديث على التحقيق .

قال القاسمى فى تفسيره « قل لا أسـألكم عليه أجرا » اى لا أسألكم على دعايتكم إلى ما أدعوا إليه من الحق الذى جئتكم به والنصيحة التى انصحكم ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونه إلا المودة فى القربى أى أن تودونى فى القرابة التى بينى وبينكم وتصلوا الرحم التى بيننا ولا يكن غيركم يا معشر قــريش أولى بحفظى ونصرتى ومودتى منكم ، قال الشهاب : المودة مصدر مقدر بأن والفعل ، والقربى مصدر كالقرابة و « فى » للسببية وهى بمعنى اللام لتقارب السبب والعلة . والخطاب إما لقريش وإما لجميع العرب لأنهم اقرباء فى الجملة ــ انتهى . والاستثناء منقطع ومعناه نفى الأجر أصلا . لأن ثمرة مودتهم عائدة إليهم لكونهـــا سبب نجاتهم فلا تصلح أن تكون أجرا له . وقيل معنى أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم . وقيل « القربى » التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، اى إلا أن تتوددوا إلا الله فيما يقربكم

إليه . والمعنى الأول هو الذى عول عليه الأئمة ولم يرتض ابن عباس وغيره . ففى البخارى عنه رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى « إلا المودة فى القربى » . قال سعيد بن جبير «القربى» آل محمد ، فقال ابن عباس عجلت إن النبى — ﷺ — لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة .

قال ابن كثير انفرد به البخارى أى عن مسلم ورواه الإمام أحمد وهكذا روى الشعبى والضحاك وعلى بن أبى طلحة والعوفى ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وأبو مالك وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وروى الحافظ أبو القاسم الطبرانى عن ابن عباس قال : قال لهم رسول الله — ﷺ — لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتى منكم وتحفظوا القربة التى بينى وبينكم ، وروى الإمام أحمد عن ابن عباس أن النبى — ﷺ — قال لا أسألكم على ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودوا الله تعالى وأن تقربوا إليه بطاعته وهكذا روى عن قتادة والحسن البصرى مثله .

وأما رواية أنها نزلت بالمدينة فيمن فاخر العباس من الأنصار فإسناده ضعيف على أن السورة مكية وليس يظهر بين الآية وتلك الرواية مناسبة ، وكذا ما رواه ابن أبى حاتم أنه لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : فاطمة وولدها رضى الله عنهم ، فإن فى إسناده مبهما لا يعرف ، عن شيخ شيعى وهو « حسين الأشقر » فلا يقبل خبره فى هذا المجال . وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة

رضى الله عنها أولاد بالكلية . فإنها لم تتزوج بعلى رضى الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة ، والحق تفسير هـذه الآية بما فسر به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنه كما رواه عنه البخارى .

ولا ننكر الوصية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة من اشرف بيت وجـد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ، خاصة إذا كانوا متبعين للسـنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلى أهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين . وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال فى خطبته إنى تارك فيكم الثقلـين « كتاب الله وعترتى » وأنهما لم يتفرقا حتى يراد على الحوض .

هذا ملخص ما أورده ابن كثير رحمه الله تعالى وسبقه فى ذلك تقى الدين ابن تيمية فى منهاج السنة ، من أوجه عديدة قال فى الوجه الثالث : إن هذه الآية فى سورة « الشـورى » وهى مكية باتفاق أهل السنة بل جميع آل « حم » وكذلك آل « طسم » .

ومن المعلوم أن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر ، والحسن ولد فى السنة الثالثة من الهجرة والحسين فى السنة الرابعة فتكون هذه الآية نزلت ، قبل الحسن والحسين بسنين متعددة ، فكيف فسر النبى ـ ﷺ ـ الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تخلـق .

ثم قال : الوجه الرابع أن تفسير الآية الذى فى الصحيحين

عن ابن عباس يناقض ذلك فهذا ابن عباس ترجمان القرآن أعلم أهل البيت بعد على ، يقول ليس معناه مودة ذوى القربى ، لكن معناه لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش ، عليه أجـــرا لكن أسألكم أن تصلوا القرابة التى بينى وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولا أن يصلوا رحمه فلا يعتدوا عليه حين يبلغ رسالة ربه .

الوجه الخامس ـــ أنه قال : لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى « ولو أراد المودة لذوى القربى لقال لذوى القربى كما قال : واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسوه ولذى القربى » وقال : ما أفاء الله على رسوله من أهل القـــرى فلله وللرسول ولذى القربى » وكذلك قوله « وآت ذا القربى حقـــه والمسكين وابن السبيل وقوله « وآت المال على حبه ذوى القربى ، وكذلك فى غير موضع ، فجميع ما فى القرآن من التوصية بحقوق ذوى قرابة النبى ـــ ﷺ ـــ وذوى قربى الإنسان ، إنما قيل فيه ذوى القربى ولم يقل فى القربى فلما ذكر هنا المصدر دون الإسم دل على أنه لم يرد ذوى القربى .

الوجه السادس ـــ أنه لو أريد المودة لهم لقال المودة لذوى القربى ولم يقل فى القربى فإنه لا يقول من طلبا المودة لغـــيره أسألك المودة فى فلان ولا فى قربى فلان ولكن أسألك المودة لفلان والمحبة لفلان فلما قال المودة فى القربى علم أنه ليس المراد لذوى القـــربى .

الوجه السابع ـــ أن يقال إن النبى ـــ ﷺ ـــ لا يسأل على

تبليغ رسالة ربه اجرا البتة . بل أجره على الله كما قال « قل ما اسألكم عليه اجرا وما أنا من المتكلفين . أم تسألهم أجــرا فهم من مغرم مثقلون » وقوله « قل ما سألتكم عليه من أجر فهــو لكم إن أجرى إلا على الله » ولكن الإستثناء هنا منقطع كما قال « قل ما اسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » ولا ريب أن محبة أهل النبى — ﷺ — واجبة ولكن لــم يثبت وجوبها بهذه الآية ، ولا محبتهم أجر للنبى — ﷺ — بل هو مما أمرنا به الله كما أمرنا بسائر العبادات .

الوجه الثامن — أن القربى معرفة باللام فلابد أن يكــون معروفا عند المخاطبين الذين أمر أن يقول لهم لا أسألكم عليه أجرا ، وقد ذكر أنها لمــا نزلت لم يكن قد خلق الحسن والحسين ، ولا تزوج على بفاطمة . فالقربى : التى كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه بخلاف القربى التى بينه وبينهم ، فإنها معروفة عندهم كما تقول لا أسألك إلا المودة فى الرحم التى بينا وكما تقــول لا أسألك إلا العدل بيننا وبينكم ولا أسألك إلا أن تتقى الله فى هذا الأمر — انتهى .

حديث : أذكركم الله فى أهـــل بيتى

إعلم أيها القارىء الموفق لاتباع الحق ان هذا « البوعصامى » لم يرد برسالته وجه الله ، ولا أخلص قصده لله ، ولكن له غرض معين خسيس من حظوظ نفسه الأمارة بالسوء ، والدليل على ذلك تناقضه وإيراده الأدلة مبتورة ومحرفة بالـزيادة والنقصـــان ، وارتكابه الكذب على الله ورسوله فقد أنكر على أهل « أرفود » وغيرهم العمل بالسنة الصحيحة الصريحة التى هى كالشمس فى رابعة النهار : فى وضع اليمنى على اليسرى ، والجهر بالتأمين ، وغير ذلك ذاعما أن ذلك منكر لمخالفته مذهب مالك ، ولم يورد على ذلك اى حجة غير ذلك ، ولما أراد ان يثبت انتفاع الإنسان بعمل غيره مطلقا خالف مذهب مالك فأثبت انتفاع الميت بالحج عنه ، وسقوط الصوم المنذور إذا صامه الحى عن الميت ، وأباح لنفسه أن يخالف مذهب مالك بلا دليل ، وحرم على غيره أن يخالفه بدليل فى غاية الصحة ، ونسب السدل إلى مالك وهو باطل كما بينه المحققون من أصحابه وكل ما بناه عباد القبور المبتدعون من بيوت الضلال فإنه بناء على شفا جرف هار ينهار بهم فى نار جهنم ، هذا إذا كانوا مخلصين معتقدين لـــا يقولون ، فكيف إذا كانوا متناقضين يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون كما جاء فى الحديث. والعجب من هذا المشرك المتناقض كيف أشرك بالله وجعل له أندادا ، ولو كان يحب الله ما أشرك به ، ورد أحاديث رسول الله ـــ ﷺ ـــ وزعم ان العمل بها منكرا ، يجب تغييره . ثم أخذ يتظاهر بالتشيع الكاذب لآل البيت لذرية فاطمة عليها السلام .

فهكذا يكون النفاق والوقاحة . وإنما وجبت محبة آل البيت تبعا لمحبة النبى — ﷺ — فمن أشرك بالله وعصى رسوله ورد حديثه وسنته كيف تصح محبته لآل البيت ؟ ودونك الحديث الذى ذكر أطرافه على وجهه الصحيح كما فى صحيح مسلم .

أخرج مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه عن يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلى زيد ابن أرقم رضى الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول الله — ﷺ — وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا . حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله — ﷺ — قال يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله — ﷺ — فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ، ثم قال قام رسول الله — ﷺ — يوما فينا خطيبا بماء يدعى « خما » بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر ، يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتى — أذكركم الله فى أهل بيتى ، وأذكركم الله فى أهل بيتى ، فقال حصين ومن أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ، قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن بيته من حرم الصدقة بعده وقال : من هم ؟ قال : آل على وآل جعفر وآل عباس . قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم ، انتهى .

وقد زاد فيه القبورى زيادة مفتراة فقال هم ذرية فاطمة

إلى يوم القيامة فليبشر بأن يتبوا مقعده من النار . وتأمل أيها الطالب للحق قول النبى — ﷺ — فى الوصية بكتاب الله وعترته أهل بيته ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض يعنى أن أهل بيته الذين أوصى بإكرامهم لن يفترقوا مع كتاب الله ، ولن يخالفوه أبدا ، تعلم يقينا أن المعنى أولا وبالذات هم الذين توفى رسول — ﷺ — وهو عنهم راض كعمه العباس وفاطمة وعلى وأولادهما لصلبهما الحسن والحسين وعبد الله والفضل ابنى عمه وآل جعفر عقيل . فهؤلاء لم يفترقوا مع كتاب الله حتى ماتوا على عهد الله ورسوله ولا يعقل أن ذريتهم ما تناسلوا إلى يوم القيامة يكونون معصومين من مخالفة الكتاب ومن ارتكاب الكبائر التى توجب لصاحبها دخول النار ، كيف وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه وفيه ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار . وكذلك قال لعمه ولعمته ولسائر بنى هاشم ومعنى ذلك أن من خالف الكتاب منهم بكفر وكبيرة لا تغنى عنه قرابته من رسول الله — ﷺ — فتيلا .

ولا ينبغى لأحد أن يفهم من كلامى التهاون بآل البيت فإن محبتهم تابعة لمحبة رسول الله — ﷺ — وإكرامهم إكرام لرسول الله — ﷺ — بشرط أن يكونوا مؤمنين متمسكين بسنة النبى — ﷺ — . فإن خالفوا ذلك فهم أحق بالذم واللوم والعقاب من غيرهم . فقد قال الله تعالى فى سورة الأحزاب « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » فشرط فى فضلهن على غيرهن التقوى — وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أن رسول الله — ﷺ — قال إن آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء . إنما وليى الله وصالحوا

المؤمنين . ولكن لهم رحم ابلها ببلالها ، ولا شك ان اهل البيت الذين توفى رسول الله — ﷺ — وهو عنهم راض ، هم من أصلح صالحى المؤمنين قد اشتركوا مع المؤمنين فى الإيمان والصلاح ، وزادوا عليهم بفضل القرابة ، والفضل المتقدم خاص بأعيانهم . ولكن ذريتهم المؤمنه الصالحة لها نصيب وافر من الفضل بقوله تعالى فى سورة غافر « ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم » فشرط الله فى التحاقهم الصلاح . وقال تعالى فى سورة الطور « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء ، كل امرئ بما كسب رهين » قال الحافظ بن كثير فى تفسيره روى ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقناهم بهم ذريتهم » قال هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان ، فإن كان منازل آبائهم ارفع من منازلهم الحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من اعمالهم التى عملوها شيئا — انتهى .

وقال تعالى فى سورة البقرة « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » يعنى أن الله امتحن إبراهيم بأوامر أمره بها فامتثل أمر ربه وعمل بما أمره به على سبيل الوفاء والتمام ، فشكر الله له ذلك وجعله إماما للأنبياء من بعده يقتدون به وجعل فى ذريته النبوة والكتاب وآتاه أجره فى الدنيا ، فلما رأى هذه الكرامة إبراهيم سأل الله لذريته أن يمنحهم مثل ذلك من النبوة والإمامة فى الدين ، فاستجاب الله دعاءه وأخبره أن من ارتكب الظلم الأكبر وهو الشرك بالله أو

الظلم الأصغر وهو التعدى لا تناله تلك الكرامة وهى الإمامة ، كما قال تعالى فى سورة الصافات « وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » . قال البيضاوى « وباركنا عليه » وعلى إبراهيم فى أولاده « وعلى إسحاق » بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب ، وأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا « ومن ذريتهما محسن » فى عمله أو إلى نفسه بالإيمان والطاعة « وظالم لنفسه » بالكفر والمعاصي « مبين » ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على أن النسب لا اثر له فى الهدى والضلال ، وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب . وقال البيضاوى فى تفسير آية سورة البقرة مثل ما فسرته . ونصه : قال : لا ينال عهدى الظالمين إجابة إلى ملتمسه ، وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لا ينالون الإمامة ، لأنها أمانة الله وعهده والظالم لا يصلح لها وإنما ينالها البررة الأتقياء منهم ، وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة ، وأن الفاسق لا يصلح للإمامة ، انتهى .

وقد ألفت فى حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم جزءاً لطيفا نشرته صحيفة الميثاق موزعا على أجزاء ، وهى لسان حال جماعة العلماء المغاربة المتوقفة ، ونشرته مجلة « الهدى النبوى » التى تصدر من القاهرة ، وهى لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية ، ولا بأس أن أنقل منه شيئا قليلا ، ونص ما ذكرت فيه.

تأمل حديث زيد بن أرقم تجد فيه مسائل :

الأولى — أن النبى ﷺ كان يستفتح خطبته بحمد الله والثناء عليه وكذلك خلفاؤه ومن بعدهم فى زمان العز والإقبال والسيادة

والإستقلال ، حتى جاء زمان الذل والإستعمار فتركت هذه السنة واستبدلت بسنة المستعمر « سيداتى آنساتى سادتى » « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » .

ثانيها ــ إخبار النبى ــ ﷺ ــ انه لابد أن ينتقل من هذه الدار الفانية وانه تارك فى أمته كتاب الله واخبر أن هداهم ونورهم فى الأخذ بكتاب الله والتمسك به تعلما وتعليما واتخاذه إماما وحكما وتحليل حلاله وتحريم حرامه .

وفى الرواية الأخرى أن القرآن حبل الله المتين اى عهده فمن اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة ، فمن ترك كتاب الله واستبدله بقوانين البشر فهو على ضلالة فى ظلمة مدلهمة يخبط كعشواء ولا يستقيم له أمر أبدا .

ثالثها ــ الوصية لأهل بيته والتأكيد فيها ولا شك أن الله اطلعه على ما سيلقاه أهل بيته من أعدائهم بعده ، ومع توكيد تلك الوصيةفقد ضيعها المضيعون ، اتخذوا أهل بيته غرضا من بعده ونصبوا لهم العداوة ولم يراعوا فيهم إلا ولا ذمة ، فقتلوهم تقتيلا ، وطاردوهم وسيلقون جزاءهم فى الآخرة بعد ما لقوه فى الدنيا ، وقوله « ثقلين » الثقل هو متاع المسافر ليتركه وديعة حتى يعود من سفره ، والمقصود هنا أن النبى ــ ﷺ ــ ترك أمرين وديعة عند أمته ، أحدهما : يتبع ويقتدى به ويحكم وهو القول الفصل وهو كتاب الله . والثانى : يكرم ويراقب فيه عهده بعد وفاته كما كان يراقب فيه فى حياته وهم أهل بيته .

رابعها ــ بيان أهل بيته من هم ؟ وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى مستوفى . وفى رواية لمسلم بعد قــوله « وعترتى أهــل بيتى » ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فقوله عليه السلام « ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » نص صريح فى الخصوصية والمزية وعلم من أعلام نبوته ، فإن أهل البيت الذين توفى رسول الله ــ ﷺ ــ وهو عنهم راض ، هم عباس وأهل بيته ، وعلى وأهل بيته ، وعقيل وأهل بيته ، وجعفر وأهل بيته كلهم كانوا على الهدى المستقيم ، عاشوا عليه وماتوا عليه ولم يحدث منهم شىء ينكر ، ولا ندعى أنهم معصومون ، فإن العصمة خاصــة برسول الله ــ ﷺ ــ خلافا للإمامية الذين قالوا بعصمة أئمتهم .

وقد اختلف الناس فى على ، وهلكت فيه طائفتان . طائفة غلت فيه حتى جعلته إلها ، وهى طائفة عبد الله بن سبأ اليهودى، وقد انكر على قولهم ، وبالغ فى عقابهم فأحرقهم بالنار ليكونــوا عبرة للعالمين ، ولا يزال لهم اتباع إلى هذا الزمان لا يقول أحــد بإسلامهم لا من أهل السنة ولا من غير أهل السنة .

أما الطائفة الأخرى التى هلكت فى على ، فهم الخــوارج والنواصب . وقد تقدم الكلام فى تقسيم هؤلاء والحكم عليهم . فإن قلت ماهو دليل الخصوصية فى هذه المزية ، أفــلا تشــتمل ذريتهم إلى يوم القيامة ؟ فالجواب أن قوله عليه السلام « ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » جواب شاف عن هذا السؤال : وهذه الفضيلة وإن كانت خاصة بأعيانهم وهم الذين كانوا على عهد النبى ــ ﷺ ــ فلا شك أن من صلح من ذرياتهــم ؛ ولم

يفارق الكتاب والسنة ، له نصيب منها ، ومحبة هؤلاء وإكرامهم فرض على كل مسلم ، وقد تقدم مثل هذا ، انتهى .

وختم «البوعصامى » هذيانه بقوله : انشدك الله يا إمام « أرفود » أن تشرح دين الله ولا تخاف فى الله لومة لائم : التأمين بعد الفاتحة لا يكون إلا سرا ، والجهر به مخالفة لسنة رسول الله — ﷺ — وقد قال العلماء ، « الراتب إذا كان يرى المنكر ولم ينهى « كذا » فهو يحاسب . حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا ، انتهى . ويا عجبا من جاهل باللغة العربية إلى حد أنه لا يعرف الفعل المجزوم ، كيف يجزم ولا يميز بين العرب والأعراب ، ولا المرفوع من المنصوب ولا المذكر من المؤنث فقد أخطأ فى المثل المشهور الذى يعرفه صبيان النحويين وهو « ومن استراب فالعرب بالباب » كتبها فالأعراب .

وقال إن فى زيارة قبور الصالحين الثواب ، ويريد بالزيارة هنا الزيارة الشركية وقد صدق ، قال تعالى فى سورة الحج « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رؤوسهم الحميم » فهنيئا له بهذه الثياب الجهنمية . وقال فى آية « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » فهى منسوخ . ولا يقع فى مثل هذا الخطأ إلا العجم المبتدئون فى تعليم اللغة العربية وقال « ولا تخاف فى الله لومة لائم » فأثبت الألف مع التقاء الساكنين ، ولو كان يحفظ القرآن لاستحضر قوله تعالى « لا تخف إنك أنت الأعلى » إذا كان جاهلا بعلم الصرف وقال « ولم ينهى » عنه ، بإثبات الألف مع الجازم بغير ضرورة . فتشخص هذه حاله فى الجهل بالعربية والتخبط فى ظلمات الشرك والبدعة والتقليد الأعمى ، كيف يتصدى

لإصدار الأحكام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أحـــاط به المنكر من كل جانب .

وقوله « التأمين بعد الفاتحة لا يكون إلا سرا والجهر به مخالف لسنة النبى » ــ غاية فى الوقاحة وقــد علمت أن الإسرار بالتأمين هو المخالف لسنة النبى ــ ﷺ ــ فمن كان من أهــل الإجتهاد كمالك والمجتهدين من أصحابه رحمهم الله ، ولم يبلغه الحديث فلا إثم عليه ، وله أجر فى الإجتهاد . ومن لم يكن كذلك وبلغه الحديث فرده واتبع هواه فهو مبتدع آثم ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . كما جاء فى الحديث ، وقد أخرج مسلم من حديث عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال من عمل عمــلا ليس عليه أمرنا فهو رد » والصلاة التى يسر فيها بالتأمين فمـــا يجهر به عمل ليس عليه أمر النبى ــ ﷺ ــ فهو مردود على فاعله إلا إذا بذل جهده فى طلب السنة ولم يقف عليها فنرجو الله أن يغفر له .

قال ممحد تقى الدين : هذا ما يسر الله فى الرد على ذلك الداعية إلى البدعة والشرك ، وقد بدا لى أن أذيله ببعض قصيدة قلتها فى مبتدع آخر مثل « البوعصامى » فى الشرك والبدعة ، وقد قضى نحبه ولقى ربه وأفضى إلى ما قدم منذ زمان . وتليها قصيدة أخرى نظمتها منذ شهر فى الرد على عباد القبور والزنادقة والملحدين الذين يدعون بدعوى الجاهلية . والله أسأل أن يؤيدنى بروح منه ويعيننى على جهادهم أجمعين وآخر دعوانا أن الحمــد لله رب العـــالمين .

« القصـــيدة الأولى »

لكـــن ذا زمـــن به البغاث غدا مستنسرا صائلا فى زى عقبان

والذئب أصبح مثل الضأن مرتديا ليبتغى الصيد من أغرار خرفان

وأصبح الدين للدنيـــا تعلمـــه وقـــد تمـــول منه كل خـــوان

لوكان يجدى البكا يوما بكيت على علم الحـــديث وتفسـير وقرآن

لم يبق منها سوى الأسماء خالية من كل معنى، سوى تحريف كهان

وكم أهبت بقومى صارخا أبدا أوبوا لهـــدى نبى الله إخوانى

دعوا دجاجلة يبغـــونها عوجا فلـــن يقودوكم إلا لخســـران

أسلافنا ارتفعوا، أسلافنا سعدوا بقفوهم أحمد الهادى بإحسان

قد اقتفوا سنة المختار خالصة من غير شوب يزيد أو بنقصان

ومنذ بدل قوم هـــديه سقطوا إلى الحضيض ونالوا كل حرمان

والله لن يسعدوا إلا بما سعدوا فلا يغرنكم وسواس شيطان

أوطانهم بهـــم والله قد شقيت والأرض تسعد أو تشقى بسكان

ومن يرد حديث المصطفى سفها يا رب فالعنه من جن وإنسان

يارب صل على المختار سيدنا ما غنت الورق فى دوح بألحان

والآل والصحب ثم التابعين له واجعل محبته روحى وريحانى

فرج بها كربى واجمع بها شعثى واصلح الحال فى سرى وإعلانى

وانصر بها حزبنا طول الحياة وفى يوم الجزا جد لنا طرا بغفران

القصيدة الثانية

الأبيات التسعة الأولى هي التي بقيت في حفظي من قصيدة للشيخ عمران النجي التميمي رحمة الله عليه وتكملتها من نظمي :

إن كان تابع أحمد متوهبا	فأنا المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي	رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ولا وثن ولا	قبر له سبب من الأسباب
أيضا ولسبت معلقا لتميمة	أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع مضرة	الله ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر محدث	في الدين ينكره ذوو الألباب
أرجو بأني لا أقاربه ولا	أرضاه دينا وهو غير صواب
كالشافعي ومالك وأبي حنيف	ـة ثم أحمد التقى الأواب
هذا الصحيح ومن يقول بمثله	صاحوا عليه مجسم وهابي

نسبوا إلى الوهاب خير عباده	يا حبذا نسبي إلى الوهاب
الله أنطقهم بحق واضح	وهم أهالي فرية وكذاب
أكرم بها من فرقة سلفية	سلكت محجة سنة وكتاب
وهي التي قصد النبي بقوله	هي ما عليه أنا وكل صحاب
قد غاظ عباد القبور ورهطهم	توحيدنا لله دون تخاب

عجزوا عن البرهان أن يجدوه إذ　　فزعوا لسرد شتائم وسباب

وكذاك أسلاف لهم من قبلكم　　نسبوا لأهل الحق من ألقاب

سموا رسول الله قبل مذمما　　ومن اقتفاه تبيل هذا صاب

الله طهرهم وأعلى قدرهم　　عن نبز كل معطل كذاب

الله سماهم بنص كتابه　　حنفاء رغم الفاجر المرتاب

ما عابهم إلا المعطل والكفو　　ر ومن غوى بعبادة الأرباب

ودعا لهم خير الورى بنضارة　　ضمنت لهم نصرا مدى الأحقاب

هم حزب رب العالمين وجنده　　والله يرزقهم بغير حساب

وينيلهم نصرا على أعدائهم　　فهو المهيمن هازم الأحزاب

إن عابهم نذل لئيم فاجر　　فإليه يرجع كل ذاك العاب

ماضارهم عيب العدو وهل يضيـ　　ـر البدر في العلياء نبح الكلاب

يا سالكا نهج النبي وصحبه　　أبشر بمغفرة وحسن مآب

وهزيمة لعدوك الخب اللئيـ　　ـم وإن يكن في العد مثل تراب

يا معشر الإسلام أوبوا للهدى　　واقفوا سبيل المصطفى الأواب

أحيوا شريعته التي سادت بها الأ　　سلاف فهي شفاء كل مصاب

ودعوا التحزب والتفرق والهوى　　وعقائدا جاءت من الأذناب

فيمينها لا يمن فيه ترونه　　ويسارها يأتيكم بتباب

إن الهدى في قفو شرعه أحمد　　وخلافها رد على الأعقاب

جربتم طرق الضلال فلم تروا　　لصداكم إلا بريق سراب

والله لو جربتم نهج الهدى　　سنة لفقتم جملة الأتراب

ولهـا بكم أعـداؤكم وتوقعوا ... منكـم إعـادة سائر الأسلاب
أما اذا دمتـم على تقليـدهم ... فتوقعوا منهـم مزيد عـذاب
وتوقعـوا من ربكم خسرا على ... خسـر وسوء مذلة وعقـاب
هذى نصـيحة مشفق متعتب ... هل عندكم يا قوم من إعتـاب
ومن البلية عذل من لا يرعوى ... ولدى الغوى يضيع كل عتـاب
وزعمتـم أن العروبة شـرعة ... وعقيدة تبنى عـلى الأسـباب
لا فـرق بين مصـدق لمحمـد ... ومكـذب فالكـل ذو أحساب
فيصـير عنـدكم أبو جهل ومن ... والاه من حضـر ومن أعـراب
مثل النبى محمـد وصـحابه ... بئس الجـزاء لسادة أقطـاب
بل صار بعضكم يرجح جانب الـ ... ـكفار من سفل ومن أوشاب
ماذا بنى لكم أبو جهل من المجد ... المخلـد فى مـدى الأحقـاب
إلا عبـادته لأصـنام وإلا ... وأدهـم لبنـاتهم بـتراب
وجهالة وضروب خزى يستحى ... من ذكـر أدناها ذوو الألباب
افتعلون ذوى المفاخر والعلى ... بحثـالة كثعـالب وذئاب
اللؤلؤ المكنون يعدل بالحصى ... والنـد والهنـدى بالأخشاب
بدلتهم نهـج الهـدى بضلالة ... وقصـور مجـد شامخ بخراب
ولقـد أتيتكم بنصـح خالص ... يشـفيكم من جملـة الأوصاب
وإخالكـم لا تقبلون نصيحتى ... بل تتبعـون وساوس الخراب

وكان الفراغ منه بمدينة مكناس طهـرها الله من الأدناس وصانها من كل بأس لعشر خلون من ربيع الأول ١٣٨٥هـ خمس وثمانين وثلاث مائة بعد الألف .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

رقـــم الإيداع ٥٤٨٧/٨٥

ترقيم دولى ٤ ــ ٤٢ ــ ١٤٣٠ ــ ٩٧٧

مطبعة عبير للكتاب والأعمال التجارية

١٦ ش لمعى المطيعى حدائق حلوان

القــــاهرة

هذا الكتاب

تشيع بين المسلمين شُبه كثيرة ، يشعل نارها وينفخ فيها أعداء الإسلام ، يريدون أن يحجبوا بدخانها حقائق الإسلام عن العيون .

كما تشيع ألوان من البدع والخرافات ، يثيرها ويروِّج لها بعض المغرضين أو الجاهلين ، ويقع فيها ويتمسَّك بها السذّج الطيِّبون من العامة ، فتغدو عندهم دينا ، وماهى من الدين ؛ وإنما هى نزغة للشيطان ، نفثها فى روع أوليائه من الإنس ليصدّهم عن صراط الله المستقيم .

من ذلك : اتخاذ القبور مساجد والتضرّع والاستغاثة بأصحاب القبور ولقد شاع ذلك حتى اعتقد بعض الجهّال أن للحمير فى القبور كرامات .

وكتاب « الحسام الماحق » حجّة دامغة تمحو كل شبهة يثيرها مشرك أو حاقد ، وتزيل كل بدعة ضالة يقع فيها كل ساذج جاهل .

لهذا فإن « دار الصحوة » يسرُّها أن تقدِّمه للقارىء المسلم حتى لا تنزلق أقدامه إلى بدعة ... وحتى لا يفرِّط فى سنّة أو يفتن بشبهة ...

والله من وراء القصد .

دار الصحوة

حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين
شارع جمال عبد الناصر
القاهرة

